داروين يحرك ذيله

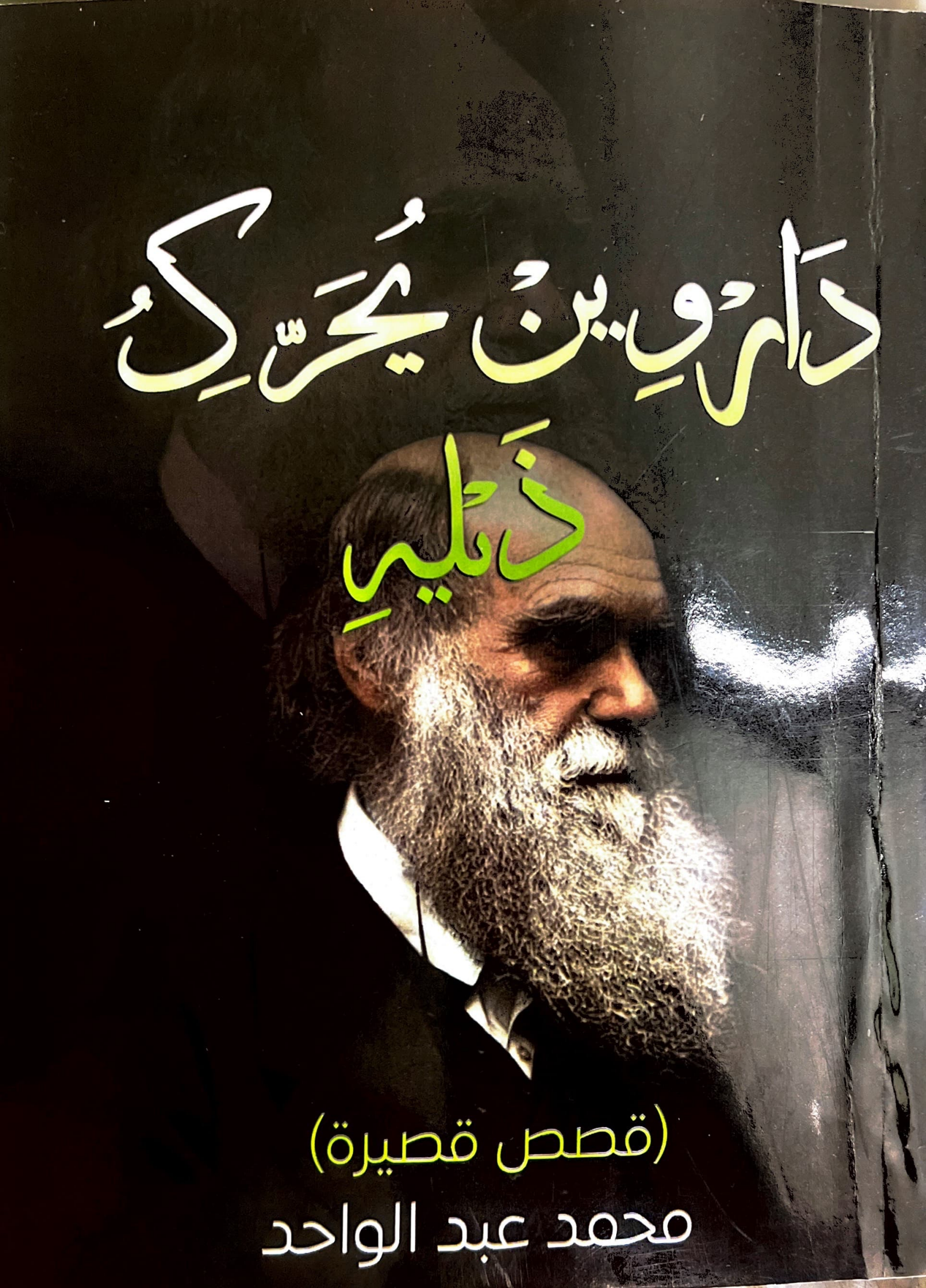

(قصص قصيرة)

محمد عبد الواحد

داروين يحرك ذيله

((قصص قصيرة))

محمد عبد الواحد

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الأديب للطبع والنشر والتوزيع والترجمة

لا يجوز طبع أونشرهذا الكتاب دون الحصول على إذن خطي من وسيلة الناشر لاستخدام أي مادة من مواد هذا الكتاب أونسخها أو إعادة نشرها أو نقلها كلياً أو جزئياً باي شكل وأي سوف يقع تحت طائلة المساءلة القانونية.

دار الأديب للطبع والنشر والتوزيع والترجمة

اسم الكتاب	داروين يحرك ذيله
اسم الكاتب	محمد عبد الواحد
رقم الإيداع الترقيم الدولي	2023-14832 978-977-6696-77-7
تصميم الغلاف	قسم التصميمات بالدار
الإخراج الفني	قسم الإخراج بالدار

daraladeeb@gmail.com 01014449164

داروين يحرك ذيله

قصص قصيرة

محمد عبد الواحد

اعتـــزال

كبندول ساعة بطيء استمر يتحرك بالكرسي الخشبي الهزاز..

مرق طائر رمادي بمحاذاة الشرفة.. أكبر من عصفور .. أصغر من حمامة.. تابعه يحط بعيدا على أحد الأسطح العالية.. ارتشف من فنجان القهوة آخره.. أعاده إلى طبقه الصغير على المنضدة بجوار أوراقه البيضاء.. اعتاد طويلا قلمه الجاف على الانكفاء على سطحها خائرا في يأس..

لا فائدة.. أكثر من عامين مضيا على آخر قصة كتبها.. جاءت هي الأخرى بعد جفاف طويل.. جاءت كإحدى نوبات احتضار..

الأفكار تأتي مسوخا.. مشوهة الملامح.. تمرق منصرفة كعفريت سليمان وهو يبرهن على سرعته.. لكن العفريت دائما ما يذهب إلى أرض بلقيس ولا يعود ..

ولماذا يكتب؟.. الولد في الثانوية العامة.. والبنت على " وش جواز".. ومرتب الهيئة دائما ما يلهث دون جدوى عاجزا أن يسدد ديونا فاضت لها روح الشهر الماضي بميتة غير كريمة..

وإذا كتب.. فلمن؟ أطباق الدش تغطى أسطح العمارات.. تبث مئات الفضائيات دون لحظة توقف.. في كل يد موبايل يلهث صاحبه خلفه ولا يلاحق نهاية أبدا.. فيس بوك.. يوتيوب.. تويتر.. وحتى أفلام البورنو الساخنة..

اعتزال الكتابة هو القرار السليم الآن.. بعدها لن يلجأ إلى الطبيب النفسي وأقراص السيبراليكس.. سيذوب بين الآخرين نقطة في بحر تعلو موجه ابتسامة واسعة.. وفراغ لانهائي يحتوي عرض السماء..

في تردد أمسك بالقلم.. في منتصف الصفحة كتب..

"كبندول ساعة بطيء استمر يتحرك بالكرسي الخشبي الهزاز..

مرق طائر رمادي بمحاذاة الشرفة.. أكبر من عصفور.. أصغر من حمامة.. تابعه يحط بعيدا على أحد الأسطح العالية.. ارتشف من فنجان القهوة آخره .. .. ..

ساندويتش

ترن ن ن..

تردد الصدى الهائل للجرس المعدني الضخم.. صفر القطار.. عقرب الساعة أعلى رصيف محطة " المحلة الكبرى" يشير إلى الخامسة وعشر دقائق مساء..

تش.. تش.. تش.. تش.. تووووت ..

يتواثب الركاب إلى جانب القطار المتحرك.. متشبثين بحوافه الصدئة.. يتقافزون تباعا.. يبتلعهم جوفه الحديدي الضخم.. جلابيبا.. ونساء متشحات بالسواد.. جرادل المثلجات المعدنية.. أطفال في الأيدى وعلى الأكتاف المتعبة.. كمساري يهش الجميع أمامه..

تشتش.. تشتش.. تشتش.. تووووت..

تلوى القطار مبتعدا كثعبان ضخم ينتوى بحمولته شرا للبلدة القادمة..

خلى الرصيف الطويل.. الصامت تماما.. إلا منه.. راسخا في جلسته على الأريكة الحجرية المتآكلة وقد خرج من جنباتها الخرسانية أطرافا لأسياخ حديد صدئة..

لو كان في المدرسة لحسبته في الثالث الإعدادي.. يقضم في نهم ساندويتشا من الفول ملفوفا في ورقة جرنال تحسبها طبعت خصيصا لتضيف إلى الساندويتش فوق الجوع مزيدا من "فتحان النفس ".. يقلب مع كل قضمة بين أصابعه قطعة مدرجة من اللفت المخلل وقد اكتسبت حمرة تكسر أي بقية من مقاومة.. بيجامته الكاستور الباهتة الخطوط تتوزع عليها بقع متربة تسجل تاريخا من الاندعاك بالأرض وجها وظهرا.. ينفرج زرها الأوسط المقطوع عن سرة بارزة لبطن هي قربة ماء.. تعلو ياقتها المهترئة طبقات من لحم رقبة بيضاء تحت وجه مستدير كطبق ضخم..

دقت كعوب أحذية قادمة.. لم يلتفت.. جلس الرجلان إلى الدكة المجاورة في انتظار القطار القادم.. يتبادلان كيسا من الترمس.. يكبش كلا منهما قبضة تكفيه دقائقا من المضغ والبصق.. انتبه أحدهما وهو يشعل سيجارته إلى وجوده.. لكز الآخر بكوعه مومئا بوجهه .. يلتفت إليه هو الآخر مستمرا في المضغ.. متلذذا بملوحة الترمس.. متجاوبا مع موجة اللمز القادمة بابتسامه خفيفة مسبقة فاهمة ..

- واد يا حوده.

استمر في صمت يقضم الساندويتش من جانبيه في تبادل.. يحاصر جنباته بضم أطراف أصابعه عليه.. يلاحق بشفتيه الغليظتين مهروس الفول قبل تسربه بشفطات ..

- ماعدش بيعبر حد يا عم.. الآشيه معاه بقت معدن.. وبقى ياكل من عربية الفول.

- لغ يا أخويا لغ.. عشان تلظلظ كمان وكمان زى نسوان السوق.

- العيال شافوك امبارح في الخرابه يالا.

- مش لاقى غير نصحى السباك؟

- اداك كام يالا؟

- وانت مالك؟.. ولا عاوز تعرف؟.. عشرين جنيه وشاندوتش كبده.. ليك شوق في حاجه؟

- سيبك منه.

- تلاقيه قاعد مستنى زباين من القطر الجاى .

- الله يرحمه أبوك يالا.. كان راجل مجدع.

قط أجرب يحوم حوله.. حاول أن يهشه بقدمه فانخلع شبشبه البلاستيكي القديم.. تمتم

- كان بقى

وقفت تلميذتان في ثيابهما المدرسية الزرقاء غير بعيد.. تضمان كتبا وكراريس مغلفة بألوان زاهية إلى صدريهما.. يتسمعان دون أن تبديا اهتماما ملحوظا..

- مش عيب تسيب العيال يعملوا فيك كده يا حمار؟

- مش أحسن ما أسرق؟

ارتج خلاء الرصيف بقهقهة الرجلين.. تبادلت التلميذتان ابتسامة خجلة تحاولان إخفائها.. انتبها لهما.. تابعاهما في صمت شبق يقطعه بصقهما بقوة لقشر الترمس المالح..

كف حوده عن قضم الساندويتش.. أعاد بقيته إلى ورقة الجرنال.. دس اللفافة في جيب البيجامة المتربة.. في بطء استمر يمضغ ما تبقى في فمه.. كان القطار يصفر قادما من بعيد.. التفت إليه مترقبا في غير حماس دون أن يقف...

****

انصـــراف

تعجبت..

من أين أتى كل هذا الغبار المتراكم على باب الشقة من الخارج؟ ..

أسبوع واحد كل ما تغيبت !..

قد تكون العاصفة الترابية التي اشتدت منذ أيام ثلاثة وارتطمت بالباب مجهدة مفرغة عليه حمولة مشوارها القاري..

في جيوب بنطالى دسست يدى أفتش عن المفتاح.. واثق أنه كان في هذا الجيب..

تلفت حولي أبحث على الأرض.. تذكرت فجأة الرنة المعدنية المكتومة التي سمعتها في التاكسي.. هكذا إذن انسلت الميدالية بكامل ثقلها من جيبي مستقرة بين مقعدي و مقعد السائق العجوز.. لم ينبس العجوز بكلمة طوال الطريق.. لم يلتفت حتى ناحيتي طوال المشوار فاستغرقت أنا الآخر سارحا في صمت..

أمسكت بضفتي الباب محاولا اختبار تماسكهما.. اقتربت أكثر أعاين مفرق لسان الباب.. رائحة ثقيلة عطنة تتسلل إلى

أنفى من داخل الشقة !!.. سم الفئران المخلوط بحبوب القمح الذى وزعته قبل انصرافي خلف المقاعد وتحت السرير قد خدع أحدهم؟ ..

قد تكون نافذة المطبخ؟ .. واثق انى أحكمت مزلاقها قبل انصرافي؟ .. لا أتذكر إن كنت أحكمت لف المقبض يمينا لأغلق.. أم يسارا لتظل مفتوحة لتدفع ضفتها قطة جائعة لتنسل زاحفة على مواسير المسقط وتلتهم وجبتها من حبوب القمح المخلوط..

نافذة المطبخ ربع مساحة الحائط تقريبا.. اتساعها يكفى لتسلل لص نحيف.. هل فاجأه الموت في الداخل قبل أن يخرج بما حمل؟.. الأسبوع الماضي كانت الحادثة في الجريدة.. مات اللص في محل كوافيرة.. فاجئهم في الصباح وهم يفتحون الباب مسجيا على ظهره.. متشبثا بإيراد الأسبوع وقد تخشبت عليه أصابعه..

تقافزت هابطا سلالم الأدوار الستة.. عم سيد مازال على أريكته الخشبية في مدخل العمارة.. موشكا برشفة عالية على الانتهاء من كوب الشاي.. مرسلا قدمه اليمنى حافية على الأرض.. ثانيا ساقه اليسرى من تحته في أريحية- فيه ريحه وحشه جوه الشقه ياعم سيد.. اطلع معايا نشوف الحكايه ايه؟

تردد للحظات كأنه يحاول استيعاب كلامي.. ترك كوب

الشاي فجأة.. لاحقني على السلالم بقفزات واسعة مشمرا عنها ذيل جلبابه..

عند باب الشقة اقترب يعاين.. تشمم الرائحة.. بتلقائية رن الجرس!.. الغبي.. هل ينتظر أن أدخل لأفتح له؟.. لم أعلق مقدرا اضطرابه.. ضرب بكفه المبسوطة مرتين فارتجت طرقة شقق الدور بأكمله..

أدار للباب كتفه الأيمن.. ضربات متواليه هائلة.. أدار كتفه الأيسر "يانبى ى ى ".. تتسع الفرجة تحت وطأة كل ضربة وقد أبدت استعدادها للاستسلام.. واصل هجومه بقدمه اليمنى بضربات هائلة.. ارتطم الباب فجأة بالحائط خلفه محدثا دويا مفاجئا استدعى صداه شقق الأدوار الثلاثة الأخرى أن تلفظ من بداخلها يسارعون بالتساؤل - فيه ايه يا عم سيد؟

- الريحه دى جايه منين ياجدعان؟

أشار المهندس إيهاب الصاوي وهو يتشمم معي مخمنا اتجاهها.. تتبعناها ناحية غرفة النوم.. تريثت قليلا وانا أتلفت خلف الكنبة باحثا عن فأر منتفخ.. واصلت خطواتى المتلفتة.. الزحام قد سد باب غرفة النوم أمامي.. ارتفعت الأصوات مختلطة وقد توقف الجمع مكانه مشدوها - لاحول الله.. لاحول الله..

كان ضوء النيون فى الغرفة مضاءا رغم النهار.. تقدمت الزحام.. تسمرت..

رأيتني على سريري ممددا في نصف جلسة.. متكئا بظهري على وسائد صغيرة ثلاث.. ساندويتش الجبن الرومي متيبسا في الطبق على الكومودينو بجانبي.. جريدة الأسبوع الماضي مازالت مفرودة بين يدى المتخشبتين.. ورغم النظارة المائلة على وجهى لمحت عيناي أكثر اتساعا تحدقان إلى بعيد وقد تساقطت معظم رموشي.. رقبتي تغضنت مرسلة بزرقان استمر صعوده حتى شفتي المنتفختين وقد أوشكتا على الانفجار..

- هو أنا هتوه عن صوته يا جدعان.. طب والله العظيم سمعته بودانى دول وانا قاعد تحت بيقول لى فيه ريحه وحشه فى الشقه فوق ياعم سيد.

اختلطت الأصوات في أذنى.. تراجعت بظهري دون اتجاه واضح.. التفت إلى مرآة التسريحة القديمة الضخمة.. لم أرى صورتي.. هززت رأسي يمينا ويسارا محاولا الاستيعاب..

ارتفع اللغط إلى حد لم أعد أتحمله.. أدرت لهم ظهري.. غادرت منصرفا ..

ظهيـــرة

ضوء الظهيرة وقد خفت بين جدران " منور "العمارة يطل من شباك مطبخ الدور الثالث.. اصفرت شرائح البصل و مفروم الثوم تحت سحابة من أبخرة تزعق بالرائحة.. قطع اللحم المغسول تتوالى متهاوية.. الطشطشة تتمازج وتقليب المغرفة في سيمفونية تنتهى بطرقتين معدنيتين لذراع المغرفة على الحافة تنبه كل الأذان إلى قيمة ما علق بها..

إلى يسار شباك مطبخ الدور الثاني أغلقت "أم عصام" باب الثلاجة ال١٦ قدما صدئة الحواف.. منذ دقائق وهى تدور برأسها بين أرفهها الباردة الخالية.. حسمت حيرتها.. لا بطاطسا ستسلق.. ولا فلفلا وباذنجانا ستقلى.. عصام سيصعد إليهم بالسلطانية.. كبشات خمس من المرق تكفى لتسقط فيها نصف كيلو البامية.. و للرائحة سيكون الطعم - عصاااام.. انت يا ولددد ..

انسحب احمرار قطع اللحم أمام غزو اللون الرمادى.. اختلطت الطشطشة بطقطقات مستغيثة.. شلال من الماء

طال انتظاره ليريح عذابات كل ما في القاع بشهيق عالى يعقبه بقبقات.. بق بق بق بق.. حبة كاملة من الطماطم تغطس فى الماء و فى سرعة تطفو ثانية.. ترتفع الشعلة بالنار عن آخرها.. فتحت الضلفة الأخرى من شباك المنور أمام زخات البخار المتلاحق..

فى أنتريه صالة الدور الثاني أغلق الحاج / حسين الجريدة.. دغدغت الرائحة أنفه.. ابتلع ريقه.. تذكر فجأة حبة الكوليسترول وقد غلبه النعاس بالأمس فبل ان يتناولها.. متحاملا قام ناحية شريط " الكوريستور ٢٠ مجم " المفضض متمتما بلعنات على الطبيب وقائمة ممنوعاته..

خمس كرات من الفلفل الأسمر علقت إحداهن بسطح حبة الطماطم المهترئ.. غطست بهما المغرفة حتى لامسا اللحم.. استسلمت حبة الفلفل الأسمر لمصير الأخريات تدور معهن يراقصن البقبقات ويفضن بالروح النفاذة.. بق بق بق بق....

على سور السطح نغزت أنفه الرائحة.. تحركت شواربه وتلوى ذيله.. بقفزة اعتلى سور المنور.. بكل حواسه حدد الماسورة المناسبة.. علقت مخالبه بها وهو يلاحق الرائحة فى سرعة تجره من أطراف أعصابه حتى شباك مطبخ الدور الثالث.. توقف فجأة يرقب متشمما وهو يطل بعينيه القاتمين السواد من خلف شبكة السلك.. التصقت أنفه بتقاطعات السلك يخمشه بأرجله باحثا عن مزق يعبره.. فاجأت وجهه المثلثى الطرف الخشبى للمساحة بلطمة هائلة مشحونة بالغضب والغل.. مع صوت ارتطام مكتوم تهاوى على ظهره في قاع المنور...

لاتزال فى قميص نومها اللبنى الشفاف.. تابعها فى فانلته البيضاء وبنطلون بيجامته.. اقترب من شباك المطبخ فى الدور الخامس متشمما .. ابتسمت - اطبخ لك النهارده لحمه زيهم؟

-لأ.. عاوز كوارع

ضاحكة - تانى؟

طفت ورقتا الغار وحبتا الهيل.. ارتطم الغطاء بالحواف محاولا إحكام الغلق..

على السلم.. أمام باب الشقة في الثالث.. ارتعشت عضلاته النافرة و هو يحمل الأنبوبة على كتفه.. أنزلها حريصا على ألا ترتطم بالبلاط.. شد عن كتفه الفوطة القديمة باهتة اللون التي تفصل ثقل الحديد عن ترقوته.. اطال بها مسح العرق عن وجهه متشمما.. ملأ صدره وكل مسام خلاياه بالرائحة.. رفع الأنبوبة ثانية إلى كتفه مواصلا الصعود الى الدور السادس و هو يطرق بتناغم في حماس متزايد بالمفتاح على جدارها طرقات عالية متوالية ذات صدى و رنين صائحا بقوة - أناااابيييب.

****

خرفشـــة

بالقرب من أذنيه زعق كلاكس سيارة فانتفضت ذراعاه الصغيرتان مستيقظا.. الإطارات تحتك بالأسفلت مبتعدة.. حرك رأسه خفيفة الشعر الناعم يمينا ويسارا.. الظلمة حالكة..

زم شفتيه في اعتراض وخوف - هيه هيه.. هيييه.. هه..

استشعر قماطته تنضح بالبول.. الملح الذائب يأكل ما بين خلايا جلد بطنه الناعم.. يتسرب الملح إلى أطراف أعصابه نننه.. انننناا...

يدرك انها فى مثل هذه الظلمة لن تسمع صوته الا بصياح.. أطلق خنفرة احتجاج - واااء.. واوا.. هه.. هه..

للظلمة سقف قريب من وجهه.. رفع كفيه الصغيرتين يتحسس.. خرفش السقف "روششششت.. روشت"..

جال بعينيه محاولا الاستيعاب.. انتبه ملتفتا لصوت ثقل لحمى ينهبد فجأة بالقرب منه،"نياووو ".. تلفت محاولا رؤية القطة.. تحت رأسه خرفشت الظلمة.. روششششت..

صدره الصغير تحت الكافولة يتمدد.. يحاول جاهدا سحب المزيد من الهواء الثقيل.. التصق السقف بكامل وجهه.. فى ضيق رفع كفيه المضموتين محاولا التخلص من ربقته.. زام يائسا و هو يلقى إلى جانبه بذراعيه " اننننه.. نه "..

الصورة تتكرر فى مخيلته.. مصباح أصفر خافت يلقى خيوط الضوء الشاحبة إلى عينيه.. يقطع سيل الضوء وجه امرأة عجوز.. ترفعه ليقترب من وجهها.. تناوله عاريا لذراعين مترددتين لامرأة.. يستقر بينهما في غير سعة او ترحيب.. منكسة رأسها لتتساقط دموعها على وجنتيه ..

"نيااا"و ..

يرفع طرف لسانه ماسحا به سقف حلقه.. يلتفت يسارا فى قوة باحثا عن سرسوب اللبن الدافئ.. مع التفاتته تخرفش الظلمة..

ثقل هائل يرتطم بقدمه اليمنى.. استقر عليها يكاد يخلعها.. انفجر فى الم.. أننننننننه.. اننناه.. .. واااء..

"نيااوو " ..

خنفر ساحبا بكاءه .. زاما شفتيه.. يبحث عن القطه الوحش..

بالقرب من اذنيه صوت مزق يتكرر.. يعلو.. انفجرت فجأة رائحة عطنه تحيطه..

.. ..

الرابعة والنصف فجرا..

" تئ.. تئ.. تئ ".. نغمة رجوع السيارة الضخمة تعود إلى الخلف.. الاضاءة المتقطعة تضئ حولها و تطفئ ..

و قد اخفى بكوفية قديمة نصف وجهه اتقاء لفحة البرد يثبت جوانب الصندوق الحديدى بخطاطيف.. تسحبه السلسلة مقرقعا لتلقمه جوفها شبه الممتلئ.. يهبط الصندوق مرتطما بالاسفلت..

يقفز إلى السلم الجانبى محكما الكوفية من جديد..

السيارة تمضى مبتعدة نحو المحرقة خارج المدينة..

بين الأكياس المتراكمة كانت جوانب كيس أسود مغلق تنبض بحركة خفيفة فيخرفش فى ضعف.

****

طـــررررروت

الدور الرابع.. التأمينات الاجتماعية.. قسم معاشات الأحياء..

على مكتبه المتهالك لوحة خشبية يعتلى صدرها بخط كوفى باهت "شوقى السيد / محاسب"..

درجته الوظيفية هى الأدنى.. رغم ذلك تتكدس مكاتب الزملاء الأربعة مبتعدة مترا أو أكثر لينفرد بمكتبه تحت الشباك المفتوح دائما فيحسبه القادم مدير القسم..

على كرسيه الخشبي وسادة مهترئة بقعتها السنون بتشكيلات صفراء..

تمد له نموذجك فينكب بصلعته الخمسينية شبه المستطيلة ونظارته المقعرة يملأ الخانات، "رقم بطاقتك؟"، "الرقم التأميني؟"..

تلاحقه بالبيانات فيسابقها متقافزا بالقلم..

يميل فجأة بزاوية مستندا بصدره على حافة المكتب.. تاركا الفراغ المناسب بين مقعدته و الوسادة، " طررررووت "ممطوطة متحشرجة تخرج من محبسها في معاناة بعد نفاذ صبر.. يودعها بآهة ارتياح..

تقطب ما بين حاجبيك.. تتلفت مترددا إلى بقية الموظفين فلا يبادلونك التفاتا لتتأكد بأنهم قد اعتادوا ذلك.. تغلق عن الهواء المثقل بالرائحة جدران أنفك.. يعود مستقرا بمقعدته إلى الوسادة.. مستمرا فى التقافز بالقلم.. دون أن يرفع رأسه يتمتم "لا مؤاخذة"..

تنتبه إلى المروحة الإستاند القديمة.. المجاورة لمقعده.. وهي تدور بحفيف معدنى يختلط بنقرات المطر خارج النافذة.. تدفع المروحة بدفقات الهواء إلى أسفل ليحمل فى طريقه ما يقابله ملقيا به من النافذة المجاورة إلى الشارع.. يمهر نموذجك بتوقيع وختم " أى خدمة".. فتنصرف..

يلقى شوقى بالدوسيه الضخم بين الرفوف المكدسة خلفه.. يعاود الجلوس.. يمضغ حبة الفحم وهو يرمق محسن الكلب على مكتبه وقد أطلق عليه فى المصلحة" الأستاذ/ ثانى أكسيد الكربون"..

يرتشف بقايا كوب الكمون.. يتمتم وهو يمضغ مرارة التفل" دكاترة؟.. هه".. سبع سنوات يدرسونها بالإنجليزي.. على جدران العيادة تتراص دلائل النبوغ بكل اللغات فى قصاقيص الصحف والمجلات والشهادات.. "فيزيتا" تليق بأستاذيته.. فى النهاية يعجزون عن تخليصه من قبضة هواء ملعونة تملأ قولونه فى تحد كل عشر دقائق.. يلقون بعجزهم على الأميبا..

- فى عرضك يا دكتور.. أعطنى لها أى دواء.

- للأسف هى متحوصلة

ثبت عينيه على ظهر نموذج أمامه.. يدق بسن القلم البلاستيكى شبه الفارغ.. خط عريضا اسم" عصام" وأحاطه بدائرة.. لم تمر على خطبته لسارة غير ثلاثة أشهر.. بالأمس تهرب عصام ثانية من دعوتهم له للغذاء.. الجمعة الماضية بينما يرتشف معه الشاى معلقا على هزيمة منتخب مصر أمام غانا مؤكدا عدم صحة ضربة الجزاء.. وهو يضع ساقا على ساق أفلتت طررروت قوية.. صمت ثلاثتهم لثوان.. حاول عصام أن يخفى تعمد غلق فتحتى أنفه بإصبعيه وكأنها حركة عفوية.. احمرت وجنتى سارة وهي تطرق إلى الأرض..

- لا مؤاخذة.

- ولا يهمك يا عمى.. احم م

قبل أن يعاود شوقى الكلام ارتشف عصام من فنجان الشاي رشفة مضطربة انتهت برنة الفنجان على طبقه الصينى وهو ينظر إلى ساعته.. وقف معتذرا بأنه قد نسى موعدا هاما.. وانصرف..

أسرعت سارة إلى غرفتها صافعة الباب خلفها.. لحقتها عايدة خارجة من المطبخ وبيدها صينية ترن عليها متصادمة كاسات جيلى الفراولة المرصوصة لتطرق الباب متسائلة" إيه اللى حصل يابنتى؟.. افتحى ياسارة "..

عايدة تشارك سارة غرفتها منذ سنوات.. تركت له سريرهما بعد أن كانت تنهض من نومها تبسمل مفزوعة كل ليلة لـ"طررروت" تشرخ صمت الليل.. ارتاح لقرارها.. على الأقل لن يضطر لأن يهرع كل ساعة إلى الحمام فيستغرق ساعة أخرى قبل أن يعاود سباته..

يغلق غطاء قلمه.. يسترجع مقاطعا من حلمه المتكرر.. الأميبا بشكل صرصور أبيض تتسلل ناحيته من تحت عقب باب غرفة خالية واسعة.. تنمو أرجل الأميبا الصرصور لتعلو بارتفاع جمل.. تواجهه مثبتة في عينيه عينيها الحمراوين تحرك شواربها الصرصورية.. تسحب بإحدى أرجلها المشعرة من تحت

بطنها منفاخا كمنفاخ الدراجات.. لنظرتها الآمرة يستدير راكعا بعد أن يسحب بنطاله أسفل ركبتيه.. تدس الأميبا المنفاخ بإحكام.. صوت ضخ الهواء.. "تششت تششت".. يئن.. "تششت "،ينتفخ بطنه.. يتأوه.. "تششت تششت".. يصرخ.. يتمزق قميصه.. ممتلئا كبالون يتدحرج مرتفعا.. يحاول ملامسة أرض الغرفة بقدميه ثانية دون جدوى.. ينسحب سقف الغرفة عن الفضاء مقرقعا.. يتهادى إلى أعلى طائرا بعد أن أحكمت الأميبا سد فتحته بفلين يتدلى منها خيط غليظ.. يرتفع معتليا أعمدة النور المطفأة.. الحقول تجرى فيها جرارات زراعية وكلب ينتبه إليه فينبح رافعا رأسه ناحيته محاولا اللحاق به.. السيارات صف نمل يتحرك فى بطء على ظهر ثعبان أسفلتى.. الأميبا تشد الخيط فجأة ساحبة سدادة الفلين.. يندفع منه الهواء هادرا"طررررووت".. يلف حول نفسه فى اتجاهات متعاكسة.. طررررروت.. يندفع بهبوط حلزونى.. طررررووت.. السكان يهرعون وهم يسدون آذانهم.. يتبادلون أقنعة الحرب الكيميائية.. بعض أوراق الأشجار يخنقها الذبول.. "طررروت".. يندفع هابطا إلى وسط حديقة.. تنحنى زهورها الحمراء والبيضاء ذابلة.. يعلق فجأة كبالون فارغ على أشواك

مدببة لصبار ضخم..

انتبه إلى جلسته على المكتب وهو يضرب على بطنه محاولا إزالة أثار شوك الصبار.. كان جلد بطنه مشدودا كطبل.. يهرع إلى حمام المصلحة.. بيد يغلق الباب وبالأخرى يسارع بفك الأزرار.. كالعادة خطوات زميل أو عميل تقترب من باب الحمام ليقف منتظرا دوره.. وهو جالس يشد" السيفون" ليغطى بهدير الماء على" طررروت" دون فائدة.. يطلقها مستسلما تدوى بصدى.. يخرج وهو يعدل من ملابسه دون أن يلتفت لوجه الواقف المتأفف منصرفا – لا مؤاخذة.

الشهر الماضى أخذ ثلاثاء إجازة عارضة مصطحبا عمرو ليقابل مدير المدرسة الذي استدعى مدرس الجيولوجيا الأستاذ/ناصر إلى مكتبه.. وهو يرفض الجلوس غاضبا اتهمه شوقي بأنه يمارس الضغوط على إبنه ليدفعه دفعا إلى أخذ درس خصوصي لديه.. وأن عليه أن يخجل من نفسه.. و"طرروت" خاطفة.. احمر وجه المدير.. تجمعت كل عضلات وجه الأستاذ ناصر حول أنفه دافعا بشاربه الكثيف فوق شفتيه المزمومتين ليسد فتحتى منخاره.. تمتم باللامؤاخذة منصرفا تاركا عمرو بين أيديهما..

سحب ورقة فولسكاب بينما الطنين المعدنى للمروحة يعلو وينخفض.. خط فيها من بعد التحية طلبا بسلفة خمسمائة

جنيها من راتبه لظروف خاصة مذيلا الطلب بالامتنان والتقدير.. استمر واقفا أمام مكتب المدير لخمس دقائق منهيا قراءته المتأففة بتناوله القلم الأحمر ليخط ضاغطا الحروف بين أسنانه "مرفووض"..

- ليه سعادتك؟

- مش كفايه الإحراج اللى مسببه لنا مع العملاء كل يوم؟

- ودا يعنى بايدى سعادتك؟

- اتفضل على مكتبك يا أفندى.. صحيح.. اللى اختشوا ماتوا.

استدار شوقى فى مكانه يغادر متباطئا..

توقف فجأة..

قطب ما بين حاجبيه.. زم شفتيه وهو يغلق عينه اليسرى.. في تصميم شد عضلات بطنه يجمع من جوانبها ما تفرق دافعا إياها في إعصار هادر إلى القولون..

طررروووووورت..

مأخوذا رفع المدير وجهه مقوسا حاجبيه وقد ارتعشت شفتاه بالغضب.. التفت شوقى إليه مبتسما وهو ينصرف - لا مؤاخذة.

ثيران ورجال

"كتلة الحياة الهائجة السوداء تلك.. المركزة المضغوطة في هذا الحجم الثوري المحدود.. هذا الجبار الطاغي الواثق بنفسه وقوته ثقة كقوته عمياء..

هذا المبعوث الداكن يمثّل كل ما في الحياة من قوة وتعطش للعدوان والرغبة في التحطيم والدم والتخريب "(رجال و ثيران - يوسف ادريس).

كتلة حياة هائجة سوداء؟.. أنا؟!.. عووو..

من أي كهوف كذب.. وديان تدليس يأتي كتابكم بهذا الافتراء؟.. عاعع ع ع..

أتذكره هذا الإدريسي.. ليلتها كنت ألمحه جالسا بينهم.. وأنا أصارع المحاولات المستميتة لذبحي لمجرد إمتاع ألوف الأوغاد.. وجمع أموالهم وصيحات إعجابهم "أولييييه".. نظير جلوسهم في مقاعد الشماتة والتشفي في ساحة الأرينا بمدريد..

أتذكر ضباب ملامحه.. كاتبكم جالسا خلية في جسد جماهيري هائل.. يفزع بكل خلجاته وأنفاسه كلما شرعت بقرني ناحية صدر الميتادور.. يزفر زفرة ارتياح واطمئنان إذا ما ناورنى بسيفه.. أو وهو يدور على عقبيه لأنطح الهواء بدلا منه.. ليمسك هذا الادريس من دون الجالسين بقلمه.. يدون كل حركة ولفتة منى ومن قاتلي.. لتعلو في النهاية صورته الفوتوغرافية هائلة الحجم بنظرته الثاقبة في حكمة.. عنوان رواية "رجال وثيران".. يتوسط أسفل العنوان اسمه متوجا بحرف الدال.. فينال نصيبه هو الآخر مالا وصيتا من كل طبعة إضافية من الناشر.. ويشرب نخبه من دمى.. أعع ع عو ..

أؤكد لكم بكل صدق فطرتنا كثيران أن هذا الادريس لم يكن إلا مجرد شاهد زور.. بل أفاق محترف.. زيف لكم الوقائع.. وبدل ضميره الإنساني والمهني.. واليكم تمام حقيقة ما جرى.. عاااااع ع... .

(١)

في الليلة السابقة.. قبيل الفجر.. كانت المصابيح المصفرة تلهث أنفاسها الشاحبة على اتساع جنبات الحظيرة.. في غير انتظام تختلط همهمات خافتة لعشرات الثيران النائمة والنصف

مغمضة.. كوابيس عابرة - مرت بي معظمها -غالبا ما تومض في جنباتها تفاصيل أحداث مرعبة ساعة اصطيادنا من الغابة - يعقبها خوار قصير مباغت متألم.. منخار هائل يطرد في غضب حزين هواء متراكما أو ما علق من علف.. اجترار بقايا العشاء يعقبه مضغ بطيء متثائب.. فقد كان عشاء جوع لا تعتريه شهية...

فجأة.. تتسع العيون المحمرة فزعة وقد وخزها صراخ سارينة عودة السيارة النقل ذات الصندوق الضخم إلى الخلف.. يصاحبها دوران أضواء حمراء وصفراء في تعاقب ينذر بالخطر الرهيب القادم.. منعكسا في طغيان على أجسام ووجوه الثيران المتطلعة في ترقب.. وقد هبت جميعها واقفة في تأهب..

أتبادل النظرات المتسائلة مع أخي "مونتا" الواقف إلى جواري.. فقد تم اصطيادنا من الغابة سويا في ذات الساعة صبيحة اصطحابنا إلى هنا..

تستمر السيارة الضخمة في العودة.. تحاصرنا مؤخرتها تماما.. يتمركز صندوقها الضخم ونشا صغيرا ينتهي ذراعه المتمدد بريموت بكابينة صغيرة.. وهي تئز تتحرك الكابينة الصفراء عاليا.. في أقواس واسعة.. فوق قروننا المشرعة.. دون أن نتمكن بأي حال من الوصول بقروننا إلى راكبها.. .

بسرعة ينحنى ممتطي الكابينة المتحركة بجذعه ليفك المزاليج الحديدية.. تهوى بوابة الصندوق الخلفية.. ترتطم حافتها بالأرض ارتطاما معدنيا تردد له صدى هائل.. تتسارع له النبضات في العروق.. تستقر البوابة مدقا صاعدا من الأرض إلى ظهر الصندوق المغطى بأكوام متناثرة من روث يابس لثيران ذهبت من هنا في رحلات سابقة إلى المجهول.. ولم تعد...

العيون المتسعة فزعا تتابع حركة الكابينة فوق الرؤوس وقد برزت من يد ممتطيها حربة طويلة حادة النصل.. في يده الأخرى تتدلى متحركة أنشوطة لحبل غليظ يسحبه من بكرة هائلة تدور في نهاية صندوق العربة.. مدعمة بموتور لف جبار له أن يقتلع جبلا من موضعه.. يتفحص الرجل عاري الصدر بعينيه أحجام الثيران والوقفات المتطابقة مع المواصفات المطلوبة.. مستمرا في تدخين بقايا السيجار...

بمجرد تحديده الهدف تدور الأنشوطة في الهواء دورات عدة لتغادر يده فجأة طائرة فوق الرؤوس.. تهبط الأنشوطة عالقة بأحد قرون "مونتا".. في خوار غاضب أقرب للصراخ يطوح برأسه يمينا ويسارا.. منفضا عنه الأنشوطة المزيتة.. لتنزلق بدورها في سرعة تحيط عنقه الهائل في إحكام .. يعلو صخب موتور البكرة هادرا بدورانها.. يلتفت "مونتا" وقد أرسل

نظراته تتشبث بعيني.. يلتوى عنقه قسرا بالحبل المشدود وقد بدأت البكرة تقرقع بموتورها الهادر لتفرض وجودا سلطويا لا مرد لأوامره.. يجذب "الحبل" مونتا" خطوتين كان خلالهما يلقى كامل ثقله الى الخلف دون جدوى.. كانت بادية شدة مقاومته للسحب حتى أن شررا كان يتطاير بين خرسانة الأرضية وأظلافه المتشبثة.. ترتطم أظلافه الرافضة بحديد البوابة الصاعدة إلى سطح الصندوق ليتردد صدى هائل لمقاومته اليائسة ممتزجة بصدى خوار غاضب .. تتلاحق أنفاس الثيران تتابع في ترقب فزع.. أحنيت رأسي إلى أسفل متفاديا المشهد لثوان.. رفعتها مرة أخرى أتابع ظهر "مونتا" الضخم يتماوج في حسرة.. مكملا الصعود في استسلام هادئ.. تواصل البكرة بقرقعتها الرهيبة سحبه إلى نهاية الصندوق..

من خارج الجوانب تمتد أذرع تحيط قوائم "مونتا" بكلابات حديدية تحيط قوائمه الأربعة..

وهو يشرع برأسه يعلو خوار "مونتا" مخترقا الآذان.. جمعه من أنحاء روحه ليلقى به إلى وادى صدره العريض.. في اعتراض غاضب.. كونه الاستثناء الوحيد دون هذه الجموع المحتشدة أسفله في أرجاء الحظيرة..

آآآعع ع ع ع.. أوو ع ع ع ع عاا ا..

أرخيت رأسي متجنبا نظرات الثيران المواسية.. وخوار مونتا الملتاع.. أعابث بشدقي المغلقين أعوادا نافرة من كتلة العشب الملقاة أمامي.. اسحب عودا وألقيه جانبا في غضب مكتوم..

عاودت رفع عيني لوداع "مونتا".. في نفس اللحظة كانت الأنشوطة بحفيفها في الهواء تسارع ناحيتى لتحيط عنقي في صلف .. تعاود البكرة قرقعة دورانها الرهيب بإصرار وصرير.. صدى ارتطام أظلافى بالمدق المعدني الصاعد يتردد في جنبات الليل المشوب بالصمت المترقب من جموع الثيران الواجفة.. يصطدم جانبي اللحيم بجانب "مونتا".. البارد.. المرتجف.. الكلابات المعدنية تحيط قوائمي الأربعة.. بارتطام هائل يفيض ثقة تعاود البوابة الخلفية الانغلاق.. يتبعه إحكام مقابض ومزاليج حديدية ضخمة.. معلنة في جملة صوتية رهيبة انتهاء المهمة..

بعد دقائق.. كان الصندوق يخترق بنا ظلمة شوارع مدريد.. رجراجات العجلات تحتنا على ضآلتها وأحجامنا تغزنا بسكاكين خفية.. هناك تآمر ما لا ندرك جوانبه.. فقد تم اصطيادنا الآن للمرة الثانية.. ..

الهواء البارد يلفحنا.. صمت متبادل يلفنا أنا و "مونتا". نتفادى تبادل النظرات.. نتشاغل عن العواء المتردد في أرواحنا

بمتابعة المباني المارقة إلى الخلف.. المصابيح الحمراء تتوهج على مؤخرات السيارات التي تمر إلى جوارنا.. واجهات المحال المغلقة في معظمها إلا من كآبة ما استمر منها مفتوحا ليعوض في سهره ما افتقده نهاره.. النوافذ في الأدوار العليا مظلمة إلا واحدة أو اثنتين يتحرك خلفها شبح رجل قلق أو امرأة في ثياب نوم.. إشارات المرور تتوالى حمراء وخضراء..

لم نكن نستطيع أن نخمن بالضبط إلى أين يسارع بنا هذا الموتور الهادر في مقدمة السيارة النقل الضخمة.. كنا نشتم مع نسمات الفجر الباردة رائحة خطر داهم..

في صمت كانت رأسينا مثبتة في اتجاه واحد.. نتابع واجهات المحالّ المغلقة تطفئ وتضيء.. تطفئ وتضيء..

(٢)

"وفتح باب الحظيرة.. واندفع إلى الحلبةِ كائن أسود مدكوك القوام.. ما إن رأى الساحة خاوية والناس حولها في احتشاد عظيمٍ حتى توقف لبرهة.. إذ ما كاد يلوح أحد المصارعين بعباءته من آخر الحلبة حتى بدا وكأن الثور ركبه ألف عفريت؛ إذ اندفع لا يجري.. وإنما يثور أو يغلي أو ينفجر جارياً.. كالصاعقة.. كالقوة الغاشمة العمياء.. لا يقيم وزناً لشيء.. وليس له إلا طريقة واحدة للتعبير عن قوة الحياة المحشودة داخله في تضاغط هائل.. إلا أن ينطح بقرنَيه"
(رجال وثيران - يوسف ادريس)

هكذا كان يتابع إدريسكم المشهد الذي لم نره أنا و"مونتا".. جالسا وسط مقاعد الجماهير التي تقطع الصمت المشوب بالرعب بين الفينة والأخرى برعد من إعجاب وشماتة "أوليييه".. "أوليييه" . كنت و "مونتا" محتجزين خلف الحاجز الخشبي الدائري.. تماما وراء الباب الخشبي المغلق يتوسط الحاجز..

لم نكن نفزع أنا ومونتا لانفجار ال "أوليييه".. بقدر ما كانت قلوبنا تدق بعنف لدقائق الصمت المشحونة نتسمع فيها وقع صدى أظلاف غاضبة لثور يعدو مقتربا منا.. ثم مبتعدا عنا.. يحاوره شبح ما.. .

صمت مشحون بشعورنا -بل يقيننا - أن هناك جريمة ما رهيبة تتكامل أركانها الآن أمام السور الخشبي.. نتبادل النظرات المتوجسة.. متأهبين لحدث جلل لا نعرفه.. فقط ننصاع لدورنا المحدد للحظة الدفع بنا ومواجهته.. .

في احتجازنا خلف البوابة الخشبية كنا نتابع رجالا يتواثبون في عدوهم هنا وهناك.. ملابسهم زاهية الألوان.. مقصبة بالذهب.. تخطف العيون.. قبعات دائرية سوداء.. بين أيديهم حرابا طويلة.. أو سيوفا قصيرة.. يتدربون في بروفة أخيرة على سرعة استلالها من أغمادها.. وعودتها في زهو المنتصر.. أو أعلام ملونة مثبتة راياتها على أنصال حادة.. خطواتهم تحمل فوقها خائفا من مواجهة.. أو متبخترا في خيلاء باسمه وتاريخه.. يؤكدهما متابعة فلاشات الكاميرات للفتاته.. والميكروفونات لكلماته التى تتصدر في اليوم التالى الصحف و المجلات عناوينا متوهجة.. .

بالارتباط الشرطي أصبحنا مع ارتفاع الأبواق في الحلبة نتوقع الخطوة القادمة.. ليخرج بالفعل مترجل بحربته.. أو فارس توقى لبطن جواده العجوز بكسوة معدنية ينتشر على سطحها خرابيش نحتتها قرون عظمية غاضبة كلوحة خلدت لحظات رهيبة.. فارقة.. لم نستطع تخمين كامل تفاصيلها..

فجأة.. أرعدت صيحات "أولييييه".. "أولييه".. تصفيق يتفجر حماسة ارتجفت له عروقنا.. صمت مريب لدقائق.. أفسح الجميع لارتطام مفاجئ بالباب الخشبي الذى نقف وراءه.. تحت وطأة ثقل ما يسحبونه يلج من الساحة أربعة بغال ضخمة يجرون خلفهم على الأرض الرملية كتلة لحمية سوداء هائلة.. عينان جاحظتان محشوتان بالمفاجأة وعدم التصديق.. "ماروتي".. الثور المرح الذي شاركنا كومة عشب الغذاء منذ ساعات ساخرا من ملابس الرجال الملونة لينعتهم "بالمهرجين في سيرك".. نولى رؤوسنا نتابع جر "ماروتي" المنقلب على ظهره بطيئا خلف البغال.. ثقيلا بأطنان اللحم وثقل الجرم ..

لم نكن قادرين على تحمل فك شفرة نظرة عينيه المتسعتين بما يشحنهما من رعب وصدمة وألم لا يطاق صرت له أسنانه العريضة.. قوائمه الأربع مشرعات لأعلى وقد تخشبت في تجسيد كامل لآخر متواليات الاحتضار وهي تنتفض وتضرب أشباح الموت الشامتة تنقض عليه من الهواء المثقل بالعدم..

قطرات دم بطيئة ترسم خطا متقطعا على الأرض لاتجاه المسيرة.. تتسرب من فتحات احترافية لأنصال سيوف وحراب.. خلف الرقبة.. بين الكتفين.. وأسفل منتصف القلب..

التفت إلى الباب الخشبي المفتوح أطالع.. ساحة دائرية واسعة اتساعا هائلا.. مدرجات متصاعدة بآلاف المقاعد الملونة.. يتراص جلوسا عليها ألوف من الذكور والإناث البشرية في انتظار وترقب ملهوف.. لمحت بعضهم يشرعون الأنظار ناحيتنا.. امتدت يد توصد الباب الخشبي بحركة خاطفة حريصة على منع احتراق المفاجأة القادمة..

التفت ثانية لصوت جر " ماروتي".. تنعطف مسيرته نحو باب كتب عليه "المقصب".. ليختفوا به وراءه.. يرتفع في الداخل أزيز منشار كهربائي يتخلله سكاكين ضخمة تسن.. بعد دقائق يعلو ارتطام ساطور يهوى بقوة وإجرام على كتلة من لحم مرتكزة حاملا خشبيا بدائيا ضخما.. تتحرك أرجله الخشبية الثقيلة بضجيج من وطأة الضربات..

يشحب وجه "مونتا"..

"مونتا" هو الابن المفضل لأبينا.. الوحيد القادر على إضحاكه. بقرات الغابة كلها كانت تحاول لفت أنظاره والاستئثار به في الخلوات.. أتذكره صغيرا يغمس ذيله في عبوة بوية صفراء تركها أحدهم في الغابة.. ليلطخ بها جذوع الأشجار.. ملتفتا إلى أبي بنظرة زهو فنان مشهور ستفوز لوحاته بجوائز عالمية وتباع بالملايين.. فيطلق أبي خواره الضاحك عاليا..

انتبهت لخوار "مونتا" غاضبا..

كان أحدهم يمسح على عيني "مونتا" الواسعتين بكميات هائلة من الفازلين.. يحاول الإفلات برأسه منحيا يدى الرجل.. تحاصر وجهه أربع أكف لأذرع مفتولة.. جليا كان استهدافهم عينيه بالفازلين.. وتشتيت بصره عن قادم ما سيواجهه أمام الحاجز الخشبى ..

دفع أحدهم في منخاري "مونتا" بلفافتين ضخمتين من قطن مبلل.. أحسست بمحاولاته المستميتة ليسحب شهيقا عميقا دون جدوى.. حتى أنه في نهاية محاولته التنفس انثنت قوائمه للحظات.. تدارك بعدها وقفته ثانية.. تذكرت أطراف لفافات القطن بارزة من منخاري " ماروتي " وهم يجرونه نحو المقصب..

هذا القطن من ناحية سيجعله لا يتنفس جيدا.. وعصبيا من ناحية أخرى..

سيدفعونه بذلك للساحة مشتت البصر.. خائر القوى.. مهتاجا في غضب..

لماذا؟!!!..

كان "مونتا" قد استسلم تماما..

خرج يتبعهم في حركة ثقيلة بينما ذيله يهتز خلفه مرتجفًا في عصبية

تنعق الأبواق في الساحة.. تهوى متلاحقة سياط ثلاثة تلسع مؤخرة "مونتا".. في نفس اللحظة التي فتحت فيها البوابة الخشبية للسور أمامه.. ليندفع إليها متقافزا بكامل كيانه في الهواء.. ألما.. وغضبا..

رعدت موجات "أوليه".. أوليه " ترتج لها جنبات الحلبة.. يقف" مونتا "مديرا رأسه.. يتفحص مستوعبا هذا العالم الخطر.. باحثا في ذعر غاضب عن عدو مجهول يعلم يقينا أنه في انتظاره يتربص به..

أغلقوا البوابة الخشبية خلف "مونتا".. وكأنهم يغلقون باب القدر.. ألصقت رأسي بالبوابة متلصصا من بين خصائص الخشب.. أتابع مصيره..

(٣)

"وتنتهي تلك المرحلة حين يكون الصراع قد هد كِيان الثور إلى حد بعيد.. بحيث لم يَعد يهاجم من تلقاء نفسه.. ولا بد من استفزازه كثيراً كدفعه للهجوم". (رجال وثيران - يوسف ادريس)

لم يستمر توقف مونتا في مكانه سوى للحظات.. شعرته وهو يتلفت برأسه الضخمة دون هدف وقد حسم بعد لحظات إجابة تساؤله "هل كل هذه الحماسة الهائلة لآلاف المتربصين تؤازره.. أم تتعجل هلاكه؟"..

لمح "مونتا" الرجل ذو الملابس الملونة المقصبة بالذهب واقفا على الطرف الآخر من الساحة يلوح له بعباءة حمراء مفرودة.. ارتسم أمامه هدفا - أي هدف - وسط كل هذه الحيرة.. انطلق ينهب الأرضية الرملية للحلبة وقد شرع قرنيه مستهدفا تمزيق استفزاز العباءة.. بحركة بهلوانية ترتفع العباءة وتهبط لتحف بظهر" مونتا " في مزيد من الاستفزاز وهو يمر من تحتها.. ليجد نفسه مندفعا إلى الفراغ كمغفل شهدت لغفلته هدير "أوليييه" معجبة.. شامتة في آن ..

ضرب "مونتا" الأرض بقوائمه مرتكزا عليها في استدارته حول نفسه لتنعقد حول قوائمه سحابة من رمال..

لوح رجل ملون في الطرف البعيد من الحلبة براية حمراء أخرى.. يقرر" مونتا "تعويض خسارته الأولى..

ارتجت أرضية الحلبة تحت اندفاعته الغاضبة..

حينما أوشك قرنا مونتا على الملامسة دار الرجل الملون على عقبيه ليرتطم قرناه بخشب البوابة التي أراقب من خصاصها فينفلت أحد ألواحها الخشبية مهشما.. طوحت برأسي مفاديا اللوح الخشبي.. بمجرد انقشاع غبار الارتطام عاودت المراقبة الثانية وقد اتسعت الفجوة في البوابة ليتسع المشهد وتتابع تفاصيله أمامي..

تكررت تلويحات الرجلين الملونين لمونتا يتقاذفانه بينهما كرة تنس لحمية ضخمة ذهابا وإيابا..

كان استنزاف قوته البدنية في عدوه.. وقوته العصبية في استفزازه.. قد بات هدفا جليا..

على أثر زعيق الأبواق يظهر وسط الحلبة ثلاثة من الفرسان يعتلون خيولهم المحمية البطن بغلاف من معدن.. اندفع مونتا بكامل غضبه يضرب بقرنيه أقرب الخيول إليه ليرفعه عن الأرض فيهوى الفارس من فوقه ويعدو هاربا.. قافزا من فوق السور وقد علق قماش جيب بنطاله بقرني مونتا..

اقترب الفارس الآخر.. يلتفت "مونتا" ناحيته وقد انغرست فى حواسه مخالب شعور أن ما يلمحه من أي حركة.. أو لفتة.. إنما هي إشارة مبطنة للإجهاز عليه وقتله..

اندفع مونتا ناحية الحصان الثاني الذي واجهه باندفاعة مماثلة على نفس الخط.. ليفاجئه الفارس في حركة خاطفة بغرس الحربة ذات الراية الملونة بين كتفيه العريضين.. يتوقف مونتا لبرهة مذهولا.. يحاول ابتلاع ألم الخدعة واستقرار النصل عميقا بين كتفيه.. بينما الراية مشرعة تهتز بطولها من اعلى لتحفر غائصة في زنده.. كان مونتا يسارع ناحية الحصان الآخر ليفاجئه نصل الحربة الأخرى لتؤكد توجيه روحه على طريق الموت.. بعد تخليصها من براثن جسده الهائل..

أدرك مونتا مصيره المحتوم.. توقف تماما موقنا أن حياته ستكون ثمنا لأي محاولة انتقام لكرامته..

تقدم الميتادور ملوحا بالعباءة الحمراء في تحد محاولا استفزازه مرة أخرى.. لمحت في تلويحه سيفا مخفيا يلمع تحت العباءة المفرودة على طوله.. أدركت بشاعة الخدعة القادمة.. نطحت البوابة الخشبية أمامي بكامل رأسي في غضب.. التفت بعض الحراس لصوت الارتطام الخشبي.. كانت نظرتهم المحذرة توحى أنهم سيبعدونني عن المتابعة من خلف البوابة الخشبية.. التفت صامتا أتابع..

الميتادور ما زال يدور حول نفسه في ثقة.. مرتكزا على عقبيه الثابتين.. ليجد مونتا نفسه يدور في دائرة فارغة.. كلما اقترب من مركزها تحرك الميتادور بقدميه بأقل من شبر ليغير مركز الدائرة.. فلا يستطيع مونتا إليه وصولا..

كان الدم يتوالى منبثقا تحت نصلى الرايتين المشرعتين على ظهر مونتا وقد اتسعت فجواتهما الدامية مع كل خطوة يخطوها فيهتز النصلان ليغوصا في اللحم عميقا.. لتتساقط الدماء على رمال الساحة المتعطشة ..

يسيطر الإجهاد على كامل كيان" مونتا ".. يتوقف فجأة يلهث في مكانه.. يثبت عينيه في عيني الميتادور الذي يقترب منه حثيثا.. لم يكن في نظراته إليه رجاء.. ولا تحد.. وإنما استمهال لتغيرات وجودية يشعرها.. تغيرات تسرى ككهرباء تجتاح كامل كيانه المتلاشى.. كهرباء طردت بقايا مشاعره بالغضب ورغبته في الانتقام وجعلته فقط يحاول قراءة الرسائل القادمة إليه من العدم...

غطى الحلبة ذاك الصمت الذي كنا نقلق له خلف البوابة الخشبية.. في حركة واحدة طوح الميتادور بالعباءة الحمراء في الهواء ليشتت ناظري مونتا في ذات اللحظة التي كان يهوى بها منهيا قفزة عالية في الهواء.. قابضا بكلتا يديه على مقبض سيف

قصير.. ليغرسه في قوة وإصرار حتى المقبض في الجهة المقابلة تماما لقلب مونتا..

تملكني الخدر الذي يجتاح الآن كامل كيان "مونتا".. بالرعشة التي تغزو كل خلاياه.. بالباب الموصد بين رئتيه والهواء.. بصوت انهيار وجوده المشروخ مرتطما بالعدم ..

تطوح مونتا خطوتين إلى الوراء.. انهار فجأة لترتج أرض الحلبة تحت ارتطامه بها.. انتفض" مونتا "في حركة ترددية كهربائية متكررة يطوح فيها بقوائمه ليصارع بها سكان الهواء.. تباطأت انتفاضة قوائمه لتصبح مجرد رعشة كتوقيع على تسليمه لبواقي الروح.. سكنت حركته تماما..

كنت أشعر أنها الوهلة الأولى "لمونتا" التي يغمره فيها الارتياح..

تخشبت قوائمه في الهواء تماما محتفظة بتفاصيل الرفسة الأخيرة المشبعة بالألم.. تمثال تحمل ثناياه أدق تفاصيلها..

اندفعت الأربعة بغال في غير حماس و كأنها مثقلة بتنفيذ حكم أبدي .. أدارت ل " مونتا "مؤخراتها والحبال..

أراقب البغال عائدة تجر حملها الثقيل.. يندفع الباب أمامي مفتوحا.. تواجه عيناي عينا مونتا وقد تجمدتا على نظرة يؤكد

لي فيها أن المؤامرة فوق ما كنا نحتسب.. ويسألني من خلالها بوضوح تام استرداد حقه..

التفت برأسي أتابع جر "مونتا ".. اختفى تماما وراء باب المقصب.. التفت إلى الباب الخشبي المفتوح.. كان الرجل الملون مازال يتوسط الحلبة بوقفته المزهوة.. ينتصب كتمثال لبطل أسطورى شارعا السيف الدامي بيد.. بينما يده الأخرى تتلقف أزهارا ترميها بعض الإناث المعجبات.. استمر يرد تحية المتفرجين وتصفيقهم بجنون..

انتبهت فجأة لحفيف المنشار الكهربائي يتحرك.. تبعه أزيز اختراقه لكتل لحمية يقطعها.. وعظام ينشرها..

(٤)

"وهكذا مضى صديقي الميتادور وكل أعصابي وانتباهي وتركيزي قد أصبحت جميعها معه وكأنني أخوض المعركة بجواره.. مضى يحاور الثور الذي بدا بارتفاع منطقة أكتافهّ الأمامية وعنقه ورأسه عن بقية جسده.. كأسد بقري متوحش أحضر لتوه من الغابة"

(رجال و ثيران - يوسف ادريس)

فتحت البوابة الخشبية أمامي.. بوابة العالم الآخر.. لسعات السياط تتوالى على مؤخرتى.. رغم ذلك دلفت ساحة الحلبة

بطيئا.. متثاقلا.. متأملا.. فاحصا..

بحثت عنه بكل ما أوتيت عيناى من قدرة على الإبصار خلف طبقات الشمع التي مسحوا بها عليهما.. درت بغبشهما أمسح كل الزوايا.. لن أكتفى بقتله.. لابد من إهانته.. من إذلاله إلى حد الركوع على ركبتيه أمام كل من رفع سيفه أمامهم في خيلاء وهو يقطر بدم " مونتا ". لم أجده..

شبح العباءة الحمراء تلوح لى مفرودة من بعيد.. في أقصى يمين الحلبة.. ابتلعت استفزازها داخل أوردتى شوكا.. نارا تنفث فى أوردتى بخارا اختزنته طاقة ستنفجر بكاملها في لحظة أعد لها الآن..

تماوجت عباءة حمراء أخرى في يسار الحلبة.. اللعبة أصبحت مكشوفة.. لن أستنفذ طاقتى في العدو على طول الحلبة لأنطح هواء تسلمنى له مغافلة كل عباءة..

بعد إعادة المحاولات دون فائدة سكنت العباءتان في يأس متسائل.. متعجب.. مترقب..

هدأت موجات " أوليبيه " تماما.. استكانت إلى صمت مطبق.. متوجس،توحدت له اتجاه آلاف الوجوه ناحيتى..

تقدمت وئيدا خطوات معدودة.. متلفتا في بطء.. باحثا عنه..

صافرات استهجان من المدرجات انطلقت..

اذا أرادوا للعبة أن تكتمل لابد أن يرسلوا به إلى.. هنا..

في محاولة لإنقاذ العرض تقدم فارس ممتطيا جواده المغلفة بطنه بالمعدن.. اقترب يدور حولى.. شاهرا حربته الملونة.. محاولا بنغزات خفيفة خاطفة لجسدى فك اللغز.. لم أتحرك..

أولى الفارس ظهره مبتعدا بخطوات.. استدار فجأة.. انطلق يعدو ناحيتي في خط مستقيم.. لن أكرر خطأ "مونتا" و"ماروتى" بأن أعدو في نفس الخط لأواجهه فيفاجئنى بغرس الحربة بين كتفي.. انطلقت أعدو ناحيته.. قبل أن نتلامس بخطوتين ضربت بأظلافى في الأرض منحرفا باتجاه جسدى لأتعامد معه و قد انعقدت لانحرافتى سحابة من الرمال .. قبل أن يستوعب المفاجأة و هو يطعن الهواء بالحربة كنت قد ضخخت كل الغضب في نطحة هائلة مزق لها قرناى السيور الجلدية مخترقة بطن الحصان ليرتفع في الهواء متجاوزا ظهرى بقوائمه.. هوى الفارس بعيدا مرتطما بالأرض.. انغرست الحربة في الرمال منتصبة.. التفت ناحية الحصان وقد تمدد هو الآخر على جانبه الأيمن.. تتوالى الارتعاشات الكهربائية على قوائمه الأربعة يرفس بها الألم.. يلهث جاحظ العينين وقد اودع نظرته ناحيتي توسلا أخيرا بأنه لا حيلة له فيما يجرى..

كان الفارس قد استغل لحظات تأملى للحصان ليعدو ناحية السور.. فيقفز من فوقه مرتميا خارج الحلبة..

سرى بين الجميع أن خطرا داهما يسرى الآن في الحلبة.. وأن اللعبة لم تتغير فقط قواعدها.. وإنما تغير عنوانها أيضا..

تناهى إلى سمعى شخشخات معدنية.. بجانب عينى لمحت أربع بقرات طيبات خرجن تباعا من البوابة الخشبية.. وقد علقت في أعناقهن أجراس معدنية صغيرة.. أرسلوهن يسرن ناحيتى في هدوء وطمأنينة.. أحاطننى في أمومة و دعة.. يحاولن تهدئتى.. واقناعى بالتحرك معهن للخروج من الحلبة والعودة خلف البوابة.. لمحتهم يترقبون الموقف من خلف السور.. أدركت الخدعة.. تكررت محاولات الأبقار.. زرعت قوائمى في رمال الحلبة.. متلفتا بكامل رأسى.. أبحث عنه...

يئست البقرات تماما.. انسحبن تباعا يصاحبهن شخشخة الأجراس الصغيرة حتى اختفين ثانية خلف البوابة..

دقائق صمت.. اتضح للجميع أنه لا مفر من حدوث شيء ما..

بالفعل.. ظهرت قبعته السوداء تتحرك هناك.. خلف السور الخشبى.. تقدم بكامل هيئته يخطو داخل الحلبة.. كان في وقع خطواته تأكيدا بأن رسالتى قد وصلته واضحة تماما.. وأنه يقبل التحدي ..

لو تحركت نحوه الآن سيساعده قربه من السور الخشبى على الفرار.. والاختفاء ثانية..

أحنيت رأسى أتشمم رمال الحلبه.. ببطء أدرت ظهرى ناحيته أمنح تقدمه المتوجس بعض الاطمئنان..

كنت أتابعه بكامل كيانى.. يتقدم محاذرا.. يتقدم.. حينما شارف وسط الحلبة استدرت له في هدوء.. .

العباءة تخفق في يده.. تتماوج كجناحى فراشة..

كانفجار قنبلة انطلقت أعدو حوله في دائرة تمركزها.. كلما ضيقت عليه الدائرة تحرك بعقبيه ليغير مركزها.. يحاول سحبى إلى أضيق دائرة ليفاجئنى مواجها بالسيف من تحت العباءة فلا أستطيع تحت ثقلى الهائل الانحراف مبتعدا.. وتنتهى اللعبة له بالتصفيق.. وصيحات الإعجاب.. وسيفا يرفعه أمام الكاميرات يقطر بدمى.. كنت في عدوى أقسو على أظلافى بالضغط جانبيا لأنتقص من انتظام الدائرة.. لتصبح خطواتى المتسارعة غير متوقعة المسار.. ارتبك.. أرسل بنظراته مباشرة إلى عيناى يسبر ما أنتويه وأنا لا أتوقف عن الدوران حوله.. كنت أبادله بنظراتى أيضا أن وقتك قد حان.. وأنه لا ملجأ له.. شعرت برعدة تسرى كيانه..

"ولكننا هنا فقدنا القدرة على التفرج.. شّلت أكفنا وحناجرنا عن أن تصفق أو تهتف.. أصبحنا كصاحبنا المصارع ننتهد فرحة كلما نجح في الإفلات من هجمة.. وتدق قلوبنا برعب حقيقي حينما يُضيّق عليه الثور الخناق ويُقبل" (رجال و ثيران - يوسف ادريس).

وهو يحرك عقبيه سقط فجأة على الأرض.. نفضت طنين الثواني عن وجهى وأنا أصوب قرناى خفيضا.. خفيضا.. حتى أنهما مع اندفاعتي الطاعنة حفرتا في أرض الحلبة أخدودين عميقين انعقدت لهما حول رأسي سحابة هائلة من الرمال.. تشكلت في الرمال رأسين أطلت منهما ناحيتي عيون "مونتا" و"ماروتى" تملأهم نظرات الرعب ومالا يطاق من الألم.. بينما المنشار الكهربائي يئز صارخا في الخلفية..

"هذا الثور.. لقد آمنت أنه أبشع المخلوقات شكلا.. وكل ماُ في ملامحه كتل كروية بشعة اللون والتكوين.. وفم ليس سوى شق واسع قبيح يشطر ذلك الشيء المستطيل بلا معنًى .. ناهيك حين تتقلب هذه الملامح البشعة تحت تأثير الهياج والرغبة البدائية الوحشية في التحطيم والقتل والتخريب.." (رجال و ثيران - يوسف ادريس).

انقشعت السحابة الرملية لأراه وقد انتصب مرة أخرى واقفا في ذعر.. طوح بالعباءة مشهرا سيفه.. المتبقي في هذه الحياة لحظة لكلينا بعدها لن تستمر إلا لواحد منا فقط.. شرعت قروني مسددا.. بكلتا قبضتيه رفع سيفه..

كبركان منفجر بعد طول صبر تحت أثقال الصخور نهبت الأرض ناحيته.. أعرف دقة حساباته.. ينتظر ما قبل وصولي بخطوتين.. قبل وصولي بخطوات أربع دفعت بقوائمي الخلفية في الأرض.. شارعا بقوائمي الأمامية في الهواء.. بقفزة هائلة.. مطوحًا خلالها ناحيته بقرناى.. كاتما في حلقه صيحة مفاجأة وفزع.. لينغرس قرني الأيمين تحت سرته.. بينما يرتفع صوت ارتطام قرنى الأيسر بعظام فخذه.. لتدوى "آآآآه" جماعية أطلقتها ألوف الحناجر في المدرجات..

بمجرد هبوطه من القفزة التفت.. كان على وجهه منبطحا على الأرض.. تراجعت خطوتين تراجع انسحاب السهم في القوس.. ترددت الصراخات الآهات في المدرجات.. انطلقت شارعا قرناى بضربة هائلة من أسفل إلى أعلى دار لها دورتين في الفضاء ليسقط كخرقة قماش بالية خارج السور الخشبي وقد تخضبت ملابسه المزركشة ببقع الدم الطازج..

توقفت في مكاني أراقب زملائه من الرجال الملونين يهرعون

ناحيته.. انطلقت سيارة إسعاف بيضاء يتعاقب على مقدمتها ضوء ملون تقطع الحلبة في سرعة ناحية الحدث..

لمحت البوابة لازالت مفتوحة خلف دخول سيارة الإسعاف وانشغال الجميع بما يحدث بعيدا وراء السور.. أدركت أن اللحظة مواتية.. وأنها لن تستمر طويلا.. ولن تتكرر.. اندفعت انهب ساحة الحلبة عابرا البوابة.. رجلين فقط تبقيا بالداخل.. أفسحا الطريق أمام اندفاعتى الغاضبة ونطحاتى المتوالية للهواء حولي وبرعب ما تابعاه منذ دقائق..

مررت باب المقصب.. ارتطام الساطور بكتل اللحم المطروح على الكتلة الخشبية الضخمة مازال يتوالى.. أبطئت خطواتى.. نطحت الباب لينفتح مرتطما بالحائط خلفه.. أطللت برأسى داخلا ألهث.. توقفت الأيدي بالسواطير والسكاكين بينما العيون تحدق في فزع.. ملابسهم مبقعة بالدماء.. لحم مونتا موزعا في أكياس بلاستيكية سوداء رصت على الأرض.. بينما رأسه مرتكزا على منضدة بعيدة.. ينظر نحوى بنفس النظرات.. لكنني لمحت بين شدقيه ابتسامة خفيفة ترف..

تناهى إلى اقتراب صخب.. التفت خارجا من المقصب.. من البوابة الرئيسية للحلبة..

على الأسوار في الخارج كنت ألمح أضواءا تحيط بلوحة خشبية ضخمة عليها الرجل الملون يفرد عباءته بينما الثور يجرى ناحيته..

انطلقت أعدو على الأسفلت المظلم بينما السيارات تمر من جانبي وترمى خلفها بالمصابيح الحمراء.. توالت الكلاكسات تجأر غاضبة تحذرنى..

انحرفت إلى احدى الشوارع الجانبية أعدو لتبتلعنى بعد دقائق ظلمته تماما..

بعد ساعات كنت اتخلل أشجار مشارف الغابة.. وقفت تحت احداها استرد أنفاسي محمحما.. بينما تتساقط في جمجمتى كالشهب تفاصيل الساعات الأخيرة.. وبما يفعله الرجال بالثيران.

****

تعقـــب

على أسفلت الطريق المظلم مازالت الخطوات تتعقبه.. أعمدة الإنارة المتباعدة تلهث.. تلقى اصفرارا يحتضر مرتعشا.. الشارع يخترق جوف الظلمة خاليا.. صامتا تماما..

لم يلتفت.. يحاول إيهام من يسير خلفه أن الأمر لا يعنيه.. حتى لا يمنحه فرصة لاستيقافه بحجة سؤاله عن بطاقته الشخصية مثلا..

مر إلى جوار مسجد يرتقى خادمه درجاته استعدادا لرفع آذان الفجر.. فكر أن يدخل المسجد ليكشفه تماما.. لكن دخول صلاة الفجر بالذات سيتيح لهم فرصة إضافية أثناء التحقيق معه باتهامه بالانتماء إلى جماعة دينية متطرفة..

سارع الخطوات.. تلاحقت الخطوات خلفه..

ما الذى حركهم ضده فجأة هكذا و فرض عليه المراقبة؟..

الأسبوع الماضي أطلق " بوست " على الفيس بوك عن غلاء الأسعار.. مفصحا عن تعجبه لسداده ٧٢٠ جنيها فاتورة كهرباء

الشهر.. مذيلا تعليقه بـ "ايموجى" لوجه يزم شفتيه امتعاضا.. ستكون صيغة الاتهام "مهاجمة سياسة الحكومة.. و استغلال وسائل التواصل الاجتماعي لتأليب المواطنين"..

لابد من حذف " البوست.. رفع الموبايل مصطنعا البحث عن جهة اتصال.. لو انتبه من خلفه سينقض عليه قبل التخلص من الدليل المادى على التهمة.. بكامل كفه غطى الشاشة.. فى لحظة القى بالبوست إلى سلة المهملات.. و منها إلى فراغ العدم المطلق..

تابع بطرف عينه ظلال حواف الحذاء الضخم خلفه.. انحرف يمين الشارع.. انحرف ظل الحذاء الضخم خلفه موازيا..

قد يكون بسبب عتابه لـ "مدحت بك".. أمين الشرطة الساكن في الدور العلوى.. عاتبه لأنه يغلق باب العمارة بسيارته التي يطير على زجاجها الفاميه الخلفى نسر ذهبي ضخم.. أغلق باب سيارته في عصبية وصعد السلالم دون أن يرد عليه.. بالتأكيد أنه قد مرر إليهم اسمه الثلاثي وعنوانه التفصيلي..

أحس فجأة أن المسافة خلفه قد تقلصت.. وأنه على وشك الالتصاق به.. مصطنعا البحث في جيب بنطاله توقف فجأة ليصطدم به.. كان من خلفه احترافيا في توقفه المفاجئ على بعد لا يتجاوز سنتيمترا متحاشيا لمسه.. دون أن يلتفت واصل السير..

تذكر فجأة وقفته في ممر الشركة وهو يخافت فتحى المحاسب بنكتة عن رئيس الوزراء.. وبينما ترتفع قهقهتما المشتركة ويتبادلان تصافح الإعجاب كان "مصطفى رشدى" يمر بهما.. صامتا تماما إلا من نظرة صخبت بمعان مرعبة..

تناوبت في نهاية الشارع أضواء ملونة بالأزرق والأحمر والأصفر على ظهر سيارة تنتظر كقدر ثقيل.. بالتأكيد سيرسل إليهم الآن إشارة بالموبايل الذى لمح ظله مشيرا الى اقتراب الصيد و الاستعداد..

انحرف فجأة إلى حارة جانبية.. انحرف الحذاء الضخم خلفه..

سارع.. لاحقه..

جرى.. اقترب منه أكثر..

تفادى بانحرافه ظل ذراعيه الطويلتين الممدودتين بانقضاض.. اعترضه كلب ينبح ملء فكيه و أنيابه.. طار قافزا من فوق ظهره في رعب.. ركلت قدمه بطن الكلب فالتفت واقفا في مكانه بعواء ألم ونباح غاضب متوعد.. هاو.. هاااو..

استمر يعدو لاهثا والحذاء قد اقترب إلى مسافة تسمح بركله.. جوف إطار سيارة قديم أمسك فجأة بقدمه اليسرى..

ارتمى زاحفا على الأرض.. تلقت كفه المفرودة تحت كامل ثقله خشونة أدمته.. استسلم في رقدته تماما مغطيا قفاه من صفعة مرتقبة لكف غليظ..

مرت دقيقتين دون حركة سوى لهاثه.. وصدى النباح البعيد المتواصل.. هاو.. هاااو..

وقف متلفتا..

لاحظ فجأة أن ظل الحذاء الثقيل يبدأ من تحت قدميه مفترشا الشارع باستطالة هائلة.. وقف يتأمل ظله وهو ينفض في هدوء التراب عن ثيابه..

****

داروين.. يحرك ذيله

بأظافره هرش داروين رأسه مفكرًا.. عاود الكتابة..

وكنا في ذلك الوقت قد عثرنا بالفعل على ما يؤكد ذلك ومنها:

١- الرسومات المحفورة على جدران الكهوف.

٢- القامة قصيرة.. الجذع مقوس.. الأذرع أطول مما عليه الآن.. أطراف الأصابع تكاد تمس الركبتين

٣- الشعر كثيف يغطى سائر الجسد.

٤- صيوان الأذن الواسع يوازى بحافته أعلى الرأس.. وقد اتخذت دائما وضع الانتباه إلى هسيس الخطر

٥- الشفتان متضخمتان.. تشغلان تقريبا النصف السفلى للوجه..

٦- الوثائق التشريحية تكرر فيها ظهور ذيل طويل.. كامل العضلات المتحكمة في تحريكه.. وقد انسحب تدريجيا ليختفي مع التطور.

وبرغم الهجوم الشرس والمستمر على نظريتى في النشوء والارتقاء فإنني أعاود التأكيد للعلم وللبشرية جميعها ان سلالة الإنسان انحدرت بما لا يدع شكًا من أصل القرود..

وما أريد الآن إضافته ملحقًا لنظريتي.. هو ما يختص بالتطور السلوكي..

ما أراه أنه مع التطور استقامت القامة واستطالت.. وتمركزت الشفتان.. وتقلصت الذراعان بصورتهما الحالية.. وبمناسبه ففي حياتي الشخصية تفسيرا جزئيا لضيق العينين أيضا وتغير شكل الأنف.. حيث مازالت في إطارها القديم على احدى جدران غرفة الضيوف العتيقة في بيت العائلة صورة فحمية لجدى السابع "تايلور" يدخن ما يشبه غليونا.. كان التبغ حديث عهد.. ويبدو أن دخانه كان كثيفا ولاسعا فضاقت له العينان و انكمشت عضلات الأنف..

بالإضافة إلى ما سبق.. فقد لاحظنا أيضا تغيرا سريعا في بعض السلوكيات..

مثال تطبيقي: القتل

فمن حجر يهشم به رأس عدوه.. إلى نصل حديدى يحتاج قوة عضلية هائلة لغرسه في اللحم والعظم بما ينعكس عليه بطول وقت مشحون بوخز من ضمير ومراجعة للنفس.. احتد

السكين ليخترق القلب في نعومة وسرعة.. استطال السكين سيفا يلقى برأس غريمه على بعد خطوات من جسده..

ثم اشعل الإنسان نارا يلقمها منجنيقا فتهوى أعلى البيت لتشعله بكل ما فيه من أطفال يتحلقون شيخا يتثاءب أو امرأة تلقم ثديها رضيع وهي تطبخ.. ليتبقى من الجميع كومة مختلطة من رماد..

ومما ضاعف في رأى من دوافع القتل هو التدرج المتزايد في "غريزة الطمع":

- فمن رغبة في تملك كهف خاص وامرأة خاصة دون الجماعة.
- إلى ارض ذات حدود.
- إلى دولة يملك فيها قطيعا يسمى شعبا.. وأراضي تسمى ثروة قومية يعب منها ما يشاء ويشتهى هو وجماعته المحدودة.. تاركا الفتات منثورا تتنازعه الأيدي والحيل..
- إلى امبراطورية تذوب فيها الدول.. ليرفع على رأسه تاجا متعددا.. يملك به ثروات أرضها.. ويغلق أمام الطيور الغريبة سمائها إلا بأمر منه..

ولكى ينتزع الطامع بغيته .. وليتشبث المطموع فيه بحقه

لم يعد السيف كافيا.. فقد تحول إلى ماسورة ذات فوهتين محشوتين بالبارود ليثقب الرصاص البطن والقلب ويهشم الرأس مخلفا توقيع المنتصر بخيط من دخان ..

انكمشت الماسورة لتصبح مسدسا يختفى في الجيب عن الأنظار..

غطى المسدس كاتم صوت يقتل بهدوء دون إزعاج النائم إلى جواره..

و لفرض الهيمنة و القرار حملت الطائرات ملايين من أطنان الـ TNT لتحول في سنوات معدودة بتفجيراته الهائلة ٩٠ مليونا من البشر إلى مجرد ذكريات لأطفالهم أو حسرة لأمهاتهم وزوجاتهم ..

خلت السماء المزدحمة.. سكن هدير الطائرات.. لتمر في هدوء طائرة واحده بقنبلتين تابعهما الأطفال في هبوطهما الناعم لتتبخر بانفجارهما أجسادهم مع ربع مليون إنسان آخر.. تاركة توقيعا أبديا على كروموسومات الأجيال المتعاقبة من طفرات و تشوهات لم تنتهى..

حينما قامت الحرب العالمية الخامسة.. رفع الجميع التحريم عن كل أنواع الأسلحة وخرجت البشرية عن كل القيود.. فانتشر في الجو غاز novcheck وقد تكفل كل طن منه بإبادة

فورية لعشرة ملايين من البشر بعد تشنجات ورعشات ونظرات ذهول لا تستغرق ثوان معدودة.. ليأتي الرد بغلاف من غازات مسممات الدم التي تمنع الدم من امتصاص الأكسجين.. وبعد تهديدات صارخة للرئيس الأقوى انتشرت في كل القنوات ووسائل التواصل توالت موجات من الفوسفور الأبيض لتصبح بعده أكبر المدن مجرد مطفأة سجائر ضخمة ممتلئة عن آخرها برماد بشرى.. ومدنا أخرى لا تستحق كلفة الحرق ألقى عليها قنابلا فراغية سحبت كامل الأكسجين من سكان المدن لخنق جماعي سريع دون كلفة..

كان الرد قويا .. محمولا على رؤوسه صواريخ تعبر القارات في ثوان محدودة.. ليرد القطب الأوحد على الجميع بقنبلة اندماجية هائلة يرتج لها سطح الكرة الأرضية بانفجار شامل يعادل توهجه توهج باطن الشمس ثلاثة آلاف ضعف.. ليحل صمت كامل وظلام دامس لسنوات.. لتخرج بعدها القلة الناجية من مخابئها تحت الأرض..

لوحظ بعد الحرب العالمية الخامسة والتي انتهت منذ مئات السنين.. عودة القامة إلى التقوس مرة أخرى.. انحناء الجذع.. زحف الشعر من جديد على سائر أجساد الجسد.. ازداد بروز صيوان الأذن وارتفع كلاقط لهسيس المخاطر.. تضخمت الشفتان..

كل ذلك أكد فرضية جديدة أخرى- وأنا بالمناسبة في كامل الاستعداد لتحمل الهجوم على فرضياتها وعلى شخصي مرة أخرى- ألا وهى "أننا ذوى أصول بشرية.. سلالتنا الحالية هي نتيجة لانحدار عكسي من سلالة الإنسان.. ولنا منهم أجدادا "..

أحس دارون الإرهاق.. وضع على الأرض الحجر الطباشيرى الذى كان يكتب به على إحدى الجدران داخل المغارة المظلمة.. .. كان مستغرقا في التفكير.. التفت إلى مشاعل النيران المرفوعة على جوانب الجدران وقد بدأ بعضها يذوى.. تقافز فوق صخور المغارة .. توقف فجأة جائعا.. كانت النيران تطقطق عاكسة ظلا كئيبا لدارون وهو يمضغ على مهل اصبعا ضخما من الموز.. شارد الذهن.. يزوم زوما خافتا وهو يحرك ذيله يمينا ويسارا في بطء..

****

بالوعـــة

شعاع نيون باهت يتسلل من الصالة البعيدة أسفل باب الحمام المغلق..

من إحدى فتحات غطاء البالوعة تطل أطراف شوارب صرصور.. تستشعر هواء الظلمة بحركة دائرية بطيئة مشوبة بالحذر والتوجس والاستعداد للارتداد الخاطف..

تتسلل إليه الطمأنينة.. يرسل بكامل شواربه مستشعرا.. يتبعها برأسه.. ضاما أجنحته.. محركا كل مفاصل أرجله المشعرة..

خارج البالوعة يكتمل شبحه واقفا لدقيقة. يزحف إلى منتصف البلاطة المجاورة.. يقف متلفتا يستكشف.. مرسلا بإشارات الأمان.. من فتحات متباعدة وفى آن واحد تخرج صراصير ثلاثة..

يندفع أحدهم بقرار جاهز مسبقا إلى أسفل وعاء بلاستيكى ضخم يتراكم بداخله عطن ملابس تنتظر الغسيل منذ أسابيع..

تمر تباعا الأشباح الثلاثة لتقطع شعاع النيون الباهت فتلمع أجنحتها البنية الداكنة وهى تتلاحق متجمعة أسفل الوعاء.. .

فتح باب الحمام.. تك المفتاح.. أضاءت إحدى لمبتى النيون وبأزيز كهربائى استمرت الأخرى تطفئ و تضئ..

انكمشوا أسفل الوعاء يترقبون في توجس..

أغلق الباب..

أخرج من طيات بيجامته مجلة تلتفت إليه من على غلافها اللامع هيفاء وهبى بنظرة غاضبة.. حادة الدلال.. تصد بها فى تنمر نظرات من تثق تماما أنه فى هذه اللحظة وفى شبق يتطلع إلى مؤخرتها و قد أبرز أدق منحنياتها "فيزون" شاهق البياض..

جلس إلى القاعدة السراميكية البيضاء يتغوط وقد أرسل بنطاله أسفل ركبتيه و بارتعاشة خفيفة تحركت أنامله تتحسس تفاصيل الفيزون..

فى عصبية كرر أصغرهم رفع شواربه محتجا.. يصر على الخروج إلى ساحة الحمام الواسعة التى أضاءت منذ لحظات..

بإحدى الأركان السفلية للإناء البلاستيكى كانت قد الصقت نفسها مرتجفة وهى تكمل وضع بيضة أخرى سوداء طولية

مضلعة تهمس متأوهة - أرجوك.. نريد أمانا لأيام يفقس فيها البيض.

أرخى العجوز شواربه مهدئا - انتظر على الأقل حتى ينطفئ النور ثانية بعدها يمكنك الخروج دون خطر.

لم يتحكم فى مفاصل أرجله وقد تكهربت بالغضب فدارت به حول نفسه حتى واجههم يزعق

- ما فائدة الخروج فى الظلمة؟.. أريد أن أتنفس هذا الضوء.. و هذا الاتساع.

فى تحد أدار ظهره.. بشاربيهما و أجنحتهما حاصراه العجوز والشاب.. دفعهما فى قوة.. زحف ناحية الحافة مرسلا شواربه من تحتها يتحسس ضوء ساحة الحمام الواسع..

توقفت يده عن العبث وقد انسحب شبقه بعد أن لمح الشوارب البنية تطل فجأة بكامل طولها من تحت إناء الغسيل..

استمر جالسا وقد رفع قدميه الحافيتين إلى أعلى محاذرا الاندفاعة المقززة..

أطل الصرصور برأسه متوجسا بين قرار يشحنه بالاندفاع كسهم إلى الأمام.. ورهبة ترده في سرعة خاطفة إلى الخلف..

على حافة البانيو المجاور ركن هيفاء فى هدوء.. مبقيا على

اتجاه وجهه إلى الأمام حتى لا ينتبه العدو إلى نيته.. زاحفا بيده ليقبض على رشاش الماء.. وقد التفت سبابته محكمة تطويق زناده..

فى بطء ودقة وبين الشاربين تماما صوب الفوهة..

كان كلاهما يعلم أن ثانية واحدة يسبق بها أحدهما قرار الأخر هى فيصل المعركة..

بضغطة اصبع قوية مفاجئة أطلق قذائفا متتابعة من الماء.. تش ش ش ش.. اضطر أن يقفز خارجا بكامله محاولا تحديد اتجاه آمن لعدوه بعيدا متفاديا الماء..

تش ش شششششت..

انطلق يعدو فى جنون هاربا بمحاذاة جدار البانيو الشاهق الارتفاع والبياض..

مستمرا في جلسته المضطربة.. و بفرصة واتت محاربا ليثأر لهزيمة عالقا مرار طعمها بالذاكرة لاحقه بقذائف متتابعة.. ليحاصره الماء تماما.. و يطفو به مبتعدا.. مال جانبا محاذرا أن ينقلب على ظهره.. بأرجله المشعرة المبللة تلمس جدران البانيو.. أسرع يتسلق نعومتها اللعينة ملاحقا فى استماتة الفرصة الأخيرة للحياة.. صفعه بطرف المجلة ليطير مستقرا على

ظهره بجوار الحافة السفلية للإناء البلاستيكى.. استمر بأرجله المرفوعة المرتعشة يضرب الموت البغيض فى تتابع مشحون بالغضب وتشنجات محقونة بالغيظ والرغبة فى الثأر..

تحت الإناء البلاستيكى تراجع الجميع فى رعب مبتعدين عن الحافة التى استمر يتساقط من أعلاها بقايا المعركة من خيوط الماء وقطراته..

إلى داخل مؤخرتها فى فزع ارتدت البيضة المضلعة.. هبطت من ركنها تشخص فى هلع إلى المنقلب على ظهره تحت الضوء منتظرة قرارا جماعيا..

استمر قابضا على رشاش الماء يتابع أرجل المحتضر يرسل بها إليه ابتهالات بالرحمة.. أحس بأنه الآن هو الموت بنفسه.. وعليه كقدر محتوم أن لا يخضع لهذه الابتهالات.. أن يحدد بنفسه اللحظة دون تراجع.. أن لا يرحم..

تش ش شش شتت..

قلبته دفقة ماء أخطأت هدفها مرتطمة بجانبه لتقلبه على أرجله ثانية.. سارع محاولا الفرار إلى تحت الحافة البلاستيكية.. عاجلته دفقات استمرت تتابعه حتى بعد اختفاءه تحت الوعاء.. بركلة هائلة مشحونة بالخوف الغاضب طار الإناء البلاستكي مرتطما بالباب المغلق.. اندفع جميعهم في اتجاهات متعاكسة

- و كأنهم ينفذون بلا تردد خطة طوارئ تدربوا عليها عشرات المرات -.. حاصرهم بدائرة من الماء شلت تفكيرهم وأنهت أي فرصة للنجاة.. توقفوا يترقبون الموت القادم عائما على سطح طوفان الماء.. في استسلام كامل حمل الطوفان أسراه الأربعة وقد انقلب اثنان على ظهريهما بينما كان العجوز يساعد صاحبة البيض على الاحتفاظ لها بثوان أخيرة تتمكن فيها من إخراج آخر بيضاتها.. عاجلهما الطوفان في غضب ورفض للمحاولة..

تحرك الماء ناحية البالوعة حاملا الأربعة وهم يرسلون بأرجلهم للضوء رسائل وداع مرتعشة يائسة..

بقدمه داس جانب الغطاء فانفتحت البالوعة فوهة عدم ضخمة مظلمة ابتلعتهم فى نهم..

أغلق البالوعة وهو يبصق..

شد من على جانب البانيو هيفاء المتمنعة إلى جلسته ثانية..

استمرت بقايا الماء تتساقط داخل البالوعة حاملة معها بعضا من بيض صغير اسود مضلع.

****

تذكرة إلى الأبيض

قبل هذا اليوم.. لم يكن لأحد أن يلتفت إليها. مجرد باحة واسعة.. على أطراف المدينة.. ملقاة منذ الأبد على يمين الأسفلت الموحش..

رغم تكاثف السحب.. وهبوب الريح بنذير من مطر.. توقف بعض المارة يتابعون في تساؤل متعجب عن هذا الحشد الهائل من الأطفال.. وكيف لهم أن اجتمعوا هنا في نفس اللحظة؟!..

أعمارهم بين العام الواحد والستة..

اختلفت أزياؤهم بين بنطلونات.. وتيشرتات.. وترنجات رياضية.. وبيجامات.. وحتى قماطات رضع لمن يحبون منهم بأيديهم الصغيرة وأرجلهم على تراب الساحة بين زحام الأرجل الصغيرة.. النحيفة..

لكنهم اجتمعوا جميعا على لون واحد.. الأبيض..

تعالى في الساحة مزيج من الضحكات.. الصرخات.. التهتهات .. المناغاة.. البكاء.. والصوصوات..

الجميع في انتظار الأوتوبيس الأبيض.. والرحلة إلى الله..

سيعودون إلي الله في شكوى أن من أرسلهم إليهم قد أساؤوا استقبالهم.. وإنهم يعتذرون إليه عن استكمال أداء مهمتهم كأطفال.. وسيبدون استعدادهم الكامل للعودة إلى هنا.. ولكن في أي صورة أخرى.. أشجار يستظل بها أهل المدينة.. سمك للشي.. دجاج للذبح.. لكنهم لن يعودوا إليها أطفالا أبدا..

على ورقة من كرتون افترشها عمرو ذو السنوات الثلاث.. يقضم على مهل ما تبقى من ساندويتش الجبن الأبيض والخيار.. تملأ ذاكرته سلامات الأصابع الغليظة لزوج أمه.. وهو يطل عليه في سريره الصغير.. بوجه محمر.. لاهث.. مطبقا إياها على عنقه.. كان يتملص بوجهه.. مختنقا.. يسعل بينما يلمح بعينيه الجاحظتين أمه تتابع الموقف من على السرير وهي عارية تماما .. أدرك أن بكاءه ونداءه المتكرر لأمه قد قطع عليهما ما كانا عليه.. قبل ثانية من انسحاب روحه تخلت الأصابع الغليظة عن قرارها واستبدلته بصفعة هائلة هوت على جانب وجهه فانخرس.. وهو يدفن بقايا نهنهته في الوسادة الصغيرة لمح شبح زوج أمه العاري في الضوء الأحمر يعود إلى أمه وقد عاودت الاستلقاء على ظهرها ليعلوها.. وهو يلقى عليه ببقايا سباب فاحش..

ظهيرة اليوم التالي وبينما عمرو في يد أمه في السوق.. واقفا بمحاذاة عجلة عربة بائع الطماطم.. جثى إلى جانبه أحد المارة في رداء أبيض.. مبتسما مد له بتذكرة الأتوبيس الأبيض.. وبكيس طوى بداخله طاقما من ملابس بيضاء.. همس له أن الرحلة إلى الله ستكون غدا من الباحة.. وحينما أدار ظهره منصرفا خيل إلى عمرو أنه لمح أطراف أجنحة بيضاء هائلة مختبئة تحت ثياب الرجل.. دس عمرو التذكرة في جيب بيجامته الصغيرة في سعادة.. التذكرة التي أتت به الآن إلى هنا بعد أن راوغهم.. وفتح باب البيت في الصباح الباكر منطلقا.. يعدو وحيدا على الأرصفة..

على بعد عشرات الأطفال من عمرو.. أخرجت داليا من حقيبتها الصغيرة الملونة مشطا.. عاودت تصفيف شعرها وهي تحرك المرآة نحو كل زوايا وجهها.. اقتربت بها هذه التسريحة من شبه أمها أكثر.. في عصبية أعادت تصفيف شعرها بطريقة مغايرة تماما.. كان هذا الشبه مع أمها يكسر قمقم غضب أبيها التي تعيش معه.. كانت المحكمة قد حكمت له بحضانتها.. فقد استطاع بفضل محاميه الداهية إثبات سوء سلوك الأم وهربها مع عشيقها.. جارهم سائق للتريلا.. لم تسلم يوما من صفعة.. أو لكمه.. أو حتى ركلة.. كلما ذكرته بملابسها أو تصفيفة شعرها أو مط الراء في كلماتها بأمها.. ورغم حرصها الشديد لم تسلم

الأسبوع الماضي وهي تضع له الإفطار وبجانبه كأس الماء أن صاح غاضبا" كأس الماء؟.. لم تكن لتنساه أبدا هي الأخرى على الإفطار".. ليرتطم الكأس بالحائط متهشما.. قرر حبسها في غرفتها يومين كاملين دون طعام أو حتى سماح بالذهاب إلى الحمام .. فجر اليوم التالي استيقظت على طرقات خفيفة على نافذتها.. فتحتها في تردد.. امتدت يد كانت أشبه بأطراف أجنحة طائر أبيض ضخم بتذكرة بيضاء عليها عنوان "رحلة إلى الله".. والموعد الذي تبقى عنه بعد الآن عشر دقائق..

تناثرت حبات المطر.. صاح جمع الأطفال فرحا..

مسح أحمد بأطراف أنامله الصغيرة قطرات المطر التي انسابت في مجراها على وجهه وقد حفرته ضربة مفتاح إنجليزي قذفت به يد الأسطى في الورشة.. فقد انزلقت من يده إحدى صواميل الموتور التي يربطها.. لم تكن الضربة تؤلمه بقدر خوفه من قطع يوميته.. وتعنيف أبيه الذي ينتظر اليومية بفارع الصبر.. ليشترى بها من إحدى الزوايا المظلمة في الحارة الخلفية حصته من الحشيش.. عندما انحدرت دموعه وهو يعاود ربط الصامولة بعد أن عثر عليها بجوار الكاوتش الخلفي اقترب منه صاحب السيارة.. ربت على كتفه ودس في يده تذكرة الرحلة إلى الله.. في حرص فتح حقيبة سيارته.. ناوله لفافة مطوي بداخلها ترنجا أبيض.. وحينما لاحق بنظراته

الشاكرة الرجل منصرفا بسيارته.. لمحه يفرد على ظهر المقعد المجاور امتداد جناح أبيض هائل..

وسط زحام الأرجل.. كان يحبو.. لا يعرف لنفسه اسما.. وملامح ضبابية لوجه أم حنون يحاول استجلابها بذاكرته فتزاحمها قسمات وجه قاسية لسيدة أخرى يحيطه غلالة سوداء متربة.. يقطع الحبو بجلسات يهرش فيها مكان لدغات على جلده.. لدغات أصابع المتسولة.. كانت تلقيه ليتمدد على فخذها.. تضع بعض السكر على جوانب عينيه ليحط عليهما الذباب بأكوام الصديد.. تمد يسراها المبسوطة إلى المارة.. بينما تتسلل أصابع يمناها بقرصات لاسعة ليبكي.. ويلتفت إليهما المارة الذي غافل أحدهم المتسولة وقد تركته على الرصيف لتملأ زجاجة الماء الفارغة من بقالة خلفها.. ليحمله إلى هنا.. يتركه ينسل حابيا بين الزحام..

أفعى جالسا مرة أخرى وقد بدأ وجه أمه الحانية يزداد وضوحا، جلس يتابع طفلا يسير على مهل وعلى جانب وجهه آثار ضربة لمفتاح إنجليزي، ابتسم وهو يتلفت في تفاؤل مفاجئ في انتظار ما ينتظره الجميع.

سارع بعض الأهالي من جوانب المدينة إلى الباحة بعد أن اكتشفوا خلو بيوتهم من الأطفال.. يبحثون عنهم بين الجموع

الحاشدة.. بينما أطفالهم يختبئون منهم بين الأرجل وخلف الظهور..

انتبه الجميع إلى تهادي الأوتوبيس الضخم.. الأبيض.. مقتربا في نعومة..

لم يكن لتلامس إطاراته والأرض حتى حفيف.. كأنه يسير على هواء.. ينساب على زجاج.. على جانبيه ما يشبه فجوة طوليه تطل منها حواف أجنحة بيضاء هائلة منقبضة.. جاهزة في أي لحظة للخروج مندفعة من مكامنها..

وقف الأوتوبيس تماما بجوار رصيف الباحة.. انزلقت أبوابه الأوتوماتيكية مفتوحة إلى الخارج..

هبط ثلاثة رجال تعلو ظهورهم أجنحة بيضاء.. بابتسامات طيبة يشيرون للأطفال بالصعود.. تقافز الأطفال على السلالم في بهجة يعاونون بعضهم بعضا على الصعود.. انتشروا على المقاعد الوثيرة.. كان في انتظار كل منهم على مقعده وجبة فاخرة من اللحم المشوي وقطعتين من الشكولاتة في أوراقها الملونة المفضضة.. وزجاجة عصير باردة..

حاول بعض الأهالي التدخل في اعتراض.. المدينة ستخلو من الأطفال.. فرد الرجال أجنحتهم يحولون بينهم وبين ما يحاولون.. فالوقت قد فات.. والفرصة كانت لديهم ولم

يدخروها.. ولا أحد له أن يعترض طريقهم الآن إلى الله..

بصعوبة أغلق السائق البوابات تحت تشبث أكف الأهالي بها والطرقات المتوالية عليها مطالبة بالانتظار والتفاوض..

انتشر الرجال الثلاثة بين الأطفال بابتسامات وطبطبات..

اختلطت الضحكات بالمصافحات وتبادل العناق..

بعد ساعة من شرب العصائر كان الأطفال يغطون في نوم عميق.. بينما السائق ينظر في المرآة الضخمة بابتسامة واسعة..

في مستشفى نائية.. يحيطها حديقة ضخمة.. كان الجميع يسارعون بتجهيز غرف العمليات..

البعض يتابعون من بين النوافذ قدوم الأوتوبيس الأبيض.. منسلا في هدوء من باب الحديقة إلى الداخل.. بينما آخرين يسارعون بمكعبات الثلج.. يملؤون بها عشرات من صناديق وعلب صغيرة مفعمة برائحة الفورمالين النفاذة.. مخصصة لحفظ الأعضاء البشرية.

****

اعتـزال ٣
ساندويتش ٥
انصـراف..... ٩
ظهيـرة ١٣
خرفشـة ١٧
طـرررروت..... ٢٠
ثيران ورجال ٢٧
تعقـب ٥٤
داروين.. يحرك ذيله..... ٥٨
بالوعـة ٦٤
تذكرة إلى الأبيض ٧٠

****

- "المزرعة " قصص قصيرة عن دار "الأديب" للنشر و الترجمة والتوزيع

- " أصفر – أحمر- برتقالي" قصص قصيرة عن دار "الدار" للنشر.

- "رائحة الخوخ" قصص قصيرة عن وزارة الثقافة سلسلة أصوات أدبية

- "انسحاب للأمام" قصص قصيرة عن سلسلة أدب الجماهير.

- حوالى ١٠٠ قصة قصيرة فى الصحف والمجلات المصرية (الأهرام المسائي / الجمهورية / المساء / الثقافة الجديدة /.. .. الخ)

- مجموعة قصص للأطفال "السمكة توتو " وزارة الثقافة.

- رواية للأطفال "أرض الزهور" وزارة الثقافة.

- مجموعة قصص للأطفال " زقزوق وريشة" وزارة الثقافة.

ـ مسلسلات اذاعية:

٨ مسلسلات بإذاعة الشرق الأوسط، منها:

" حواديت مصرية " لهالة فاخر و لطفى لبيب

" الفاكهة والناس" لعزة بهاء فائزة بجائزة الذهبية من الجامعة الأمريكية

" الف عيلة وعيلة " لمحمد الصاوى و مي عبد النبي

" عباس مش عاجباه الناس " للممثل حسن حسنى .

- برامج للاطفال:

- دراما مسلسلة " صندوق الحواديت"
- فوازير مسلسلة " احنا الصفات"

- جوائز تم الفوز بها:

جائزة نجيب محفوظ للقصة القصيرة- مركز ثان

جائزة الهيئة العامة لقصور الثقافة عن أدب الطفل

تحت الطبع:

مغامرات برتقالة مسرحية للأطفال

البوابة مسرحية للأطفال

****

يعد القاص المصري/ محمد عبدالواحد؛ أحد أعلام القصة القصيرة المصرية المعاصرة، وذلك لما لقصصه من مذاق مغاير؛ يجمع بين الواقعي والفنتازي؛ ويعبر بزمكانية وأفق السرد إلى آفاق ما بعد حداثية؛ وعبر مفارقات السرد وروعة الأسلوبية؛ وتعدد مستويات الخطاب تتجلي جواهر السرد المكتنز؛ إذ هو كاتب يعفق نسيج السرد ويحايث القارئ ويخاتله ليجعله لا يترك المجموعة إلا بعد الانتهاء منها كاملة؛ كما أنه يزاوج بين الأسلوب العلمي والأدبي في الكتابة، ويعبر بالزمن إلي أزمنة جديدة؛ أو هو يكتب عبر الزمن؛ ويعبره إلي فنتازيا تدهش القارئ – طوال الوقت وتماهيه- عبر الواقعية السحرية؛ والانتقالات الإحالية البديعة من موقف إلى آخر؛ فلا تشعر بالملل؛ بل تعيش معه عبر كل قصة بفرادة مغايرة، عبر علمية السرد تارة؛ وعبر جماليات الوصف؛ وأحكامه جمر اللغة التي تتسم بالواقعية أحيانًا؛ والفنتازيا والغرائبية الإدهاشية تارة؛ والتجديدية كذلك؛ في شكل وجوهر مادة السرد القصصي؛ وتلك - لعمري- جماليات يتصف بها السرد الجديد الحداثي؛ وما بعد الحداثي؛ والكوني؛ فهو يعبر بالقارئ إلي زمكانية مغايرة؛ وكأنه يسافر بنا عبر الزمن إلى عوالم مثيرة؛ يخلط فيها العلم بالتاريخ والعلوم؛ والواقع المكاني بالفنتازيا.

حاتم عبدالهادي السيد

رئيس رابطة النقاد العرب

وبرغم الهجوم الشرس والمستمرعلى نظريتي في
النشوء والإرتقاء فإنني أعاود التأكيد للعلم
وللبشرية جميعهاً أن سلالة الانسان إنحدرت بما لا
يدع شكاً من أصل .....؟؟

محمد عبد الواحد

71524 99154

تصميم ماكي محمد